حقوق الطبع محفوظة لدار ملتقى المعرفة للنشر والتوزيع

ردمك: 978-977-6682-34-9
رقم الإيداع القانوني: 2020/3025

ملتقى المعرفة

حقوق الطبع محفوظة لدار ملتقى المعرفة للنشر والتوزيع وأي اقتباس أو إعادةطبع أو نشر في أي صورة كانت ورقية أو إلكترونية أو بأية وسيلة سمعية أو بصرية دون إذن كتابي من الناشر، يعرض صاحبه للمساءلة القانونية.

المراجعة اللغوية والإخراج الفني وتصميم الغلاف: فريق العمل بدار ملتقى المعرفة للنشر والتوزيع

القاهرة / مصر
جوال: 00201278821670
00201003528058

daralmoltaqa@gmail.com @DarMoltaqaAlmarefa www.daralmoltqa.com

محمد رفعت

الأرملة

daralmoltaqa@gmail.com @DarMoltaqaAlmarefa www.daralmoltqa.com

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى روح أمي وأبي اللذين أدين

لهما بكل ما حققت في حياتي

الأم هي المعجزة

الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعباً طيب الأعراق.

وللأم مكانة عظيمة سواءً في الاعتبارات الاجتماعيّة أو الدينيّة فقد جعل الله برّها ووصلها بالحسنى فوق جميع الروابط الإنسانيّة فهي أساس المجتمع، وهي صاحبة الدور الأعمق في بناء جيل المستقبل، فتستقبل وليدها من لحظة علمها بوجوده بالحبّ، وتحسّ نحوه بالمسؤولية منذ خروجه إلى الحياة، يبقى ملتصقاً بها فتمنحه الدفء والحنان، وتجد أنّ التربية ليست بالمهمة السهلة فتجتاز بعض صعوباتها وتتعثر في أخرى.

يصف الماوردي رَحِمَهُ ٱللَّهُ الأم مع أولادها فيقول: «والأمهات أكثر إشفاقاً، وأوفر حبّاً، لما باشرن من الولادة، وعانين من التربية، فإنهنّ أرقّ قلوباً، وألين نفوساً.

والأم هي المعجزة التي وهبها الله عز وجل للبشرية وهي من وضِعت الجنة تحت أقدامها، ومن تعبت لتحتضن جنينها بعد احتوائه تسعة أشهر بعد الثِقل الذي صاحبها أثناء الحمل، لم تتأثّر بما تركه الحمل من علاماتٍ مزعجةٍ على جسدها وما رافقه من سهرٍ طويل، فهي التي لم تشتكي بل قابلت التعب بالحب.

الأم زهرة الحياة، رضاها يحدّد المصير، لا راحة في الدنيا دون

ابتسامتها، ولا جنةٌ في الآخرةِ عند غضبها، تُعلّم العطاء بأفعالها، وهي التي تُقدم دون أن تأخذ، ولا تنتظر إلّا أن ترى النتيجة بالتقدم والنجاح لأبنائها، هي الصانعة للأجيال والمثابرة، ومصدر الحنان ينبع من قلبها دون توقفٍ، وهي نموذج من الرحمة، وكتلة من الصبر، قَدرُها عظيم لا يُقدّر بثمنٍ، ومكانتها كبيرةٌ لا يمكن وصفها. هي من يُشكى لها الهمُّ بعد الله، ودعاؤها يهزّ السماء لشدة قوته على الرّغم من أن صوتها رقيقٌ وحنون، هي صانعة الرجال ومربّية لغيرها من الأمهات، وهي أساس الاستمرار في هذا الكون، وسبب الإحساس بالأمان هو وجودها، وغيابها مؤلمٌ ومظلمٌ، باختصار لا حياة دونها.

معجزات الأم كثيرة أهمّها العطاء؛ فهي تظلِم نفسها لتُنصف أبناءها، وتُتعب نفسها لراحتهم، وهي تعرف ما يدور داخلهم وما يواجههم في الحياةِ دون أن يفصحوا بذلك، هي قارئة أفكارهم، ومن أشد الصابرين عليهم، الإحسان إليها أمرٌ لا يحق التهاون به.

من أجمل معاني الحبّ هو حبّها، ووفاؤها لأبنائها لا يمكن أن تُغيّره ظروفٌ أو مصاعب، بل يزيد مع الأيام. تقدير الأم رد الجميل للأم أمرٌ صعب لا يمكن إتمامه على أكمل وجه، مهما قُدِّم لها لن يصلها حقها بما قدمته هي.

ولكن لا بأس من تقديرها بتقديم هدية في عيد ميلادها، أو دعوتها للخروج والتنزه، وزيارتها والاستماع لكلامها وأحاديثها، وتجنّب أي كلمةٍ أو فعلٍ يؤذيها أو يؤذي مشاعرها، وطاعتها وعدم جدالها، ومساعدتها عند الكِبَر والشيخوخة؛ فتجاعيد يدها تدلّ على عملها لإنشاء وتقديم ما يحبّ أبناؤها من طعامٍ وترتيبهم وتعليمهم،

وتجاعيد وجهها تدلّ على سهرها في مرضهم ووقت اختباراتهم، وألم ظهرها وقدميها يدلّ على وقوفها بجانبهم وتمريرهم بالحياة وإزالة العقبات والمشاكل عنهم قبل أن يعرفوها، وصوتها المتعب يدلّ على شدّة دعائها لهم خوفاً عليهم ورفقا هم. لن نصل إلى ما تستحقّه الأم، فبسبب عظمتها أوصى بها الله ورسوله، ففضلها لا يمكن أن يُنسى لقوّته وتأثيره في الحياة، مهما ابتعدنا تكون هي سبب الوصول إلى المراد.

❊ ❊ ❊

معنى الأمومة

لا يمكن الحديث عن المرأة في صحتها ومرضها دون الحديث عن الأمومة، فهي من أقوى خصائصها ووظائفها منحها الله إياها لتعمر بها الحياة، ولذلك ارتبطت فكرة الأمومة في المجتمعات القديمة بالألوهية وذلك حين كان هناك اعتقاد بأن المرأة هي التي تنجب بذاتها أي أنها مصدر الخلق، ومن هنا انتشرت الآلهة الأنثى بمسميات مختلفة.

ثم حين اكتشف الرجل أن وجوده ضروري لأن تنجب المرأة ظهرت الآلهة الذكورية جنباً إلى جنب مع الآلهة الأنثوية، ثم حين اكتشف الرجل خلال الحروب والمنازعات أنه جسمانياً أقوى من المرأة وأنه مسئول عن حمايتها حاول الانفراد بفكرة الألوهية، وحين تجاوزت الإنسانية هذه المراحل واستنارت بصيرتها بنور الوحي الإلهي وعرف الإنسان التوحيد وتواترت الديانات إلى أن وصلت إلى الدين الخاتم الذي أعلى من مقام الأمومة والأبوة حتى جعله تاليا لمقام الربوبية في قوله تعالى:

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا

رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾ [الإسراء: ٢٣، ٢٤].

والأم في المعجم الوجيز، هي أصل الشيء، وهي الوالدة، وهي الشيء يتبعه فروع له، والأمومة هي نظام تعلو فيه مكانة الأم على مكانة الأب. ولا شك أن خير وصف يعبر عن الأم وعن حقيقة صلتها بطفلها في لغة العرب هو « الوالدة » وسمي الأب « الوالد » مشاكلة للأم الحقيقية، أما الأب فهو في الحقيقة لم يلد، إنما ولدت امرأته.

فالولادة إذاً أمر مهم، شعر بأهميته واضعو اللغة، وجعلوه محور التعبير عن الأمومة والأبوة والبنوة ... وفى القرآن الكريم تأكيد لذلك المعنى في قوله تعالى: ﴿ مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ ۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْ ﴾ فلا أم في حكم القرآن إلا التي ولدت.

والأمومة هي علاقة بيولوجية ونفسية بين امرأة ومن تنجبهم وترعاهم من الأبناء والبنات، وهذا هو التعريف للأمومة الكاملة التي تحمل وتلد وترضع (علاقة بيولوجية) وتحب وتتعلق وترعى (علاقة نفسية).

وهذا لا ينفى أنواعاً أخرى من الأمومة الأقل اكتمالاً كأن تلد المرأة طفلاً ولا تربيه فتصبح في هذه الحالة أمومة بيولوجية فقط، أو تربى المرأة طفلاً لم تلده فتصبح أمومة نفسية فقط.

انواع الأمومة:

مما سبق يتضح أننا أمام أنواع ثلاثة من الأمومة:

١- **الأمومة الكاملة (بيولوجية ونفسية)**: وهي الأم التي حملت وولدت وأرضعت ورعت الطفل حتى كبر، وهي أقوى أنواع الأمومة،

وهي نتاج المعاناة والمعايشة للحمل أو الجنين تسعة أشهر كاملة يتغير فيها كيان المرأة البدني كله تغيراً يقلب نظام حياتها رأساً على عقب، ويحرمها لذة الطعام والشراب والراحة والهدوء. إنها الوحم والغثيان والوهن طوال مدة الحمل ... وهي التوتر والقلق والوجع والتأوه والطلق عند الولادة. وهو الضعف والتعب والهبوط بعد الولادة. إن هذه الصحبة الطويلة - المؤلمة المحببة - للجنين بالجسم والنفس والأعصاب والمشاعر هي التي تولد الأمومة وتفجر نبعها السخي الفياض بالحنو والعطف والحب. هذا هو جوهر الأمومة: بذل وعطاء وصبر واحتمال ومكابدة ومعاناة .

٢- **الأمومة البيولوجية:** وهي الأم التي حملت وولدت فقط ثم تركت ابنها لأي سبب من الأسباب وهي أمومة قوية وعميقة لدى الأم فقط. ولكنها ليست كذلك لدى الابن (أو البنت)، لأن الأبناء لا يشهدون الأمومة البيولوجية وإنما يشهدون الأمومة النفسية، ولذلك اهتم القرآن بالتوصية بالأم والتذكير بالأمومة البيولوجية التي لم يدركها الأبناء. قال تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ ﴾ [لقمان: ١٤].

٣- **الأمومة النفسية:**

وهي الأم التي لم تحمل ولم تلد ولكنها تبنت الطفل بعد فراقه من أمه البيولوجية فرعته وأحاطته بالحب والحنان حتى كبر. وهذه الأمومة يعيها الطفل أكثر مما يعي الأمومة البيولوجية لأنه أدركها ووعاها واستمتع بها.

والأمومة النفسية - سواء كانت جزءاً من الأمومة الكاملة أو

مستقلة بذاتها - تقسم إلى قسمين:

- **الأمومة الراعية:** وتشمل الحب والحنان والعطف والود والرعاية والحماية والملاحظة والمداعبة والتدليل.

- **الأمومة الناقدة:** وتشمل النقد والتوجيه والتعديل والأمر والنهى والسيطرة والقسوة أحياناً.

وفى الأحوال الطبيعية يكون هناك توازن بين قسمي الأمومة فنرى الأم تعطى الرعاية والحب والحنان وفى نفس الوقت تنتقد وتوجه وتعاقب أحياناً.

أما في الأحوال المرضية فنجد أن هذا التوازن مفقود فيميل ناحية الرعاية الزائدة والتدليل أو يميل ناحية النقد المستمر والقسوة والسيطرة.

انماط من النساء:

في طبيعة المرأة ثلاث كيانات رئيسية (الأم - الزوجة - الأنثى) يمكن أن تشكل بحسب غلبة أحدها تلك الأنماط النسائية التالية:

١- **المرأة الأم (أم العيال):** تتجه بكل مشاعرها نحو أطفالها وتكون مشغولة طول الوقت بهم وتدور كل سلوكياتها حول مركز واحد هو أبنائها وهذا النموذج يكثر وجوده في المجتمعات الشرقية.

٢- **المرأة الزوجة:** تتجه بمشاعرها نحو زوجها فتحبه حباً شديداً وتخلص له طول العمر وتكون أقرب إليه من أي مخلوق آخر، فهما دائماً في علاقة ثنائية حميمة يقضيان معظم الوقت معاً في البيت أو في الرحلات الداخلية أو الخارجية أو في المتنزهات أو في المعامل

كباحثين (مدام كورى وزوجها). وهذا النموذج نادر في المجتمعات الشرقية ولكنه موجود في المجتمعات الغربية خاصة حين يكبر الأبناء ويغادرون بيت العائلة.

٣- **المرأة الأنثى (الدلوعة):** وهي امرأة تتميز بالنرجسية وحب الذات وتتجه بمشاعرها نحو نفسها وتتوقع من الجميع أن يدللونها وتغضب منهم إذا أغمضوا أعينهم عنها فهي تريد أن تكون في مركز الاهتمام دائماً، وكذلك فهي دائماً مشغولة بجمالها وزينتها وجاذبيتها لذلك تقضى وقتاً طويلاً في متابعة أحدث الأزياء وأحدث الإكسسوار، وتدور كثيراً في الأسواق، وتقف كثيراً أمام المرآة ويهمها جداً رأى الناس فيها ولا تحتمل الإهمال وهي في غمرة انشغالها بنفسها كثيراً ما تنسى أولادها وتنسى زوجها وتنسى كل شيء. .

٤- **المرأة المتكاملة:** وهي التي تتوازن فيها الكيانات الثلاثة فتكون أماً وزوجة وأنثى بشكل متكامل. وهذا لا يمنع أن تبرز إحدى الكيانات عن الأخرى في أوقات معينة، فتبرز الأم حين يمرض أحد الأبناء وتبرز الزوجة حين يكون الزوج في محنة وتبرز الأنثى في مرحلة منتصف العمر حين يكبر الأولاد ويقل احتياجهم لها وحين ينشغل عنها الزوج فتعود حينئذ إلى نفسها لتدللها وتهتم بها وتتصرف بشكل يجذب اهتمام من حولها إليها.

الأمومة والألم:

طبيعة المرأة البيولوجية والنفسية مهيأة لأن تتحمل الآلام من أجل أبنائها وزوجها، وأن تعطى كثيراً ولا تأخذ إلا القليل وربما لا تأخذ شيئاً، وأن تحنو على من حولها وربما يقابلون ذلك بالقسوة أو

الجحود، وأن تؤثر غيرها على نفسها، وأن تضحى بنفسها من أجل سلامة من ترعاهم. فهي في علاقاتها بزوجها وأولادها تميل إلى الخضوع والتسليم والإيثار وتكون سعيدة بذلك ولا تطلب أي مقابل وكأنها مدفوعة إلى ذلك بغريزة قوية هي غريزة الأمومة.

غريزة الأمومة:

هي غريزة من أقوى الغرائز لدى المرأة السوية وهى تظهر لديها في الطفولة المبكرة حين تحتضن عروستها وتعتنى بها، وتكبر معها هذه الغريزة وتكون أقوى من غريزة الجنس فكثير من الفتيات يتزوجن فقط من أجل أن يصبحن أمهات ودائماً لديهن حلم أن يكون لهن طفل أو طفلة يعتنين به. ولولا هذه الغريزة القوية لعزفت معظم النساء عن الزواج والحمل والولادة. وغريزة الأمومة أقوى من الحب الأمومي، لأن الغريزة لها جذور بيولوجية (جينية وهرمونية) أما الحب فهو حالة نفسية أقل عمقاً من الغريزة، والمرأة حين تخير بين أمومتها وبين أي شيء آخر فإنها – في حالة كونها سوية – تختار الأمومة بلا تردد.

الأمومة والوظائف:

كثيراً ما تدفع غريزة الأمومة المرأة إلى تفضيل وظائف بعينها مثل التدريس (خاصة للأطفال) والتمريض وطبابة الأطفال ورعاية الأيتام ..... الخ ويبدو هذا التفضيل لغريزة الأمومة في مثل هذه المهن.

الحرمان من الأمومة:

لما كانت الأمومة غريزة بمثل هذه القوة كان الحرمان منها شديد

القسوة على المرأة العقيم فهي تشعر أنها حرمت من أهم خصائصها كامرأة، ومهما حاولت أن تعوض هذا النقص فإنها في النهاية تشعر بفراغ هائل وتشعر أن لا شيء يمكن أن يملأ هذا الفراغ بداخلها. ولذلك تظهر أعراض الاضطرابات النفسية أو النفس جسمية بكثرة حتى تجد لها مخرجاً والمخرج يمكن ان يكون بتبني طفل تمنحه حب الأمومة أو التسامي بغريزة الأمومة من خلال رعاية الأيتام أو العمل في دور حضانة الأطفال أو رعاية أطفال العائلة أو غيرها.

وهكذا نرى الأمومة من أقوى غرائز المرأة وهي حين تتفتح تزين الدنيا بأرق وأرقى عواطف البشر وأبقاها.

❋ ❋ ❋

الأم في القرآن الكريم

أم كل شيء: أصله وما يجتمع إليه غيره، وبهذا المعنى ورد تعبير ﴿ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ [آل عمران ٧، الرعد: ١٣، الزخرف: ٤] في القرآن الكريم، ونحوه: ﴿ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ ﴾ [الأنعام: ٩٢، الشورى: ٧]، وأم القرى: مكة قال سبحانه: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا ﴾ [القصص: ٥٩].

ولقد أوصى القرآن الكريم بالأم، وكرر تلك الوصية لفضل الأم ومكانتها فقال سبحانه: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [لقمان: ١٤ - ١٥].

فرباط الوالديّة (الأبوة والأمومة) وثيق جداً لا يعكر عليه شيء حتى لو كان الوالدان مشركين، والعطف عليهما واجب مع عدم الإصغاء إليهما إن أمراه بما يخالف شريعة الله.

وكرّر هذه الوصية فقال: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ﴾ ﴿ بِٱلْأَحْقَافِ ﴾ [الأحقاف: ٢١].

وفضل الأم على الأب له موجباته وهو الحمل والرضاع والرعاية.

والإسلام قدّس رابطة الأمومة، فجعلها ثابتة لا تتعرض للتبدلات والتغيرات، فحرم الزواج من الأمهات قال سبحانه: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ ﴾ [النساء: ٢٣]. كما بيّن أن رباط الزوجية لا يمكن أن يتحول إلى رباط أمومة أبداً، وشتان بينهما قال سبحانه: ﴿ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ ﴾ [الأحزاب: ٤]. ﴿ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ ۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْ ﴾ [المجادلة: ٢].

إلا أن هذه الرابطة تتأثر بهول يوم القيامة فقط، فيستقل الولد عن أمه، والأم عن ولدها قال سبحانه: ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ ﴾ [عبس: ٣٤ - ٣٦].

هذا وإن رباط الأمومة يبيح للولد أن يأكل من بيت أمه: ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ ﴾ [النور: ٦١].

بسبب ما تقدم من حقوق وواجبات جعل الله سبحانه الأم مسؤولة عن تربية ولدها، فهي راعية ومسؤولة عن رعيتها، وأشار سبحانه إل هذه المسؤولية الأخلاقية في قوله: ﴿ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ ﴾ [مريم: ٢٨]. وذلك على لسان قوم مريم عليها السلام، فالملحوظ أن قوم مريم أدركوا هذه المسؤولية، فوجهوا

إليها هذا الخطاب في تقرير المسؤولية الأخلاقية للوالدين، رغم ما في خطابهم من غمزٍ وتعريض لا تخفى دلالاته.

وبسبب ذلك أيضاً أوجب الله سبحانه وتعالى للأم ميراث ولدها إن مات في حياتها كما أوجب له ميراثها إن ماتت في حياته. قال سبحانه وتعالى: ﴿ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ ۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ ﴾ [النساء: ١١] النساء: ١١.

ولما كانت الأم مصدر الحنان ومنبع الإحسان بالنسبة للولد ذكّر هارون أخاه موسى عليهما السلام بأمه حين غضب وأخذ برأسه، قال سبحانه: ﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى ﴾ [الأعراف: ١٥٠]. وفي موضع آخر قال: ﴿ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ﴾ ﴿ طه ۝ ﴾ [طه: ١]. وذِكْر الأم هنا دون سواها للاستعطاف والاسترحام ولما ترمز إليه من الحنان والرحمة والشفقة.

وجعل الله سبحانه زوجات النبي ﷺ أمهات للمؤمنين من حيث واجبُ البر وحرمةُ الزواج والحقوق الواجبة لهن من الاحترام والتقدير، قال سبحانه: ﴿ ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ﴾ [الأحزاب: ٦].

ومن الأمثلة الفذة التي ضربها الله سبحانه في القرآن للأمهات المثاليات أسوة للمؤمنات مريم وأم موسى عليهما السلام.

أما مريم عليها السلام فجعل لها ربنا تبارك وتعالى سورة كاملة باسمها حكى القرآن فيها قصتها منذ أن حملت بها أمها ونذرتها لله

سبحانه إلى أن حملت بعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ثم قصتها مع قومها قال سبحانه: ﴿ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾ ﴾ [المؤمنون: ٥٠]. ﴿ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ﴾ [المائدة: ٧٥].

وأما أم موسى فاحتفل بها القرآن، وحكى قصتها مع ولدها زمن فرعون وكيف أن الله تعالى أوحى إليها فقال: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ - وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ [القصص: ٧ - ١٠].

فلما كان حالها كذلك رعى الله سبحانه تلك العاطفة - عاطفة الأمومة - حق رعاية وامتنّ بذلك على موسى لعظيم تلك المنة وأهميتها، فقال سبحانه: ﴿ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ﴾ [القصص: ١٣].

* * *

الأم في السنة النبوية

إن الأحاديث في هذا الباب كثيرة جداً نورد منها ما يفي بالغرض:

سُئل رسول الله ﷺ: مَن أحقُّ الناس بحسن صحابتي؟ قال: **«أمك»**. قيل: ثم من؟ قال: **«أمك»**. قيل ثم من؟ قال: **«أمك»**. قيل ثم من؟ قال: **«أبوك»**. رواه البخاري.

الأمر الذي يؤكد حرص الإسلام على مضاعفة العناية بالأم والإحسان إليها: أكثر من العناية بالأب مع أن كليهما (الأم والأب) أُمر المسلم بالإحسان إليه. ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ [الإسراء: ٢٣].

وسُئل النبي ﷺ عن الكبائر، فقال: **«الإشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس، وشهادة الزور»**. رواه البخاري.

ونهى الرسول ﷺ عن سَبّ الوالدين وبيّن أنه من الكبائر فقال: **«إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه»**. قيل: يا رسول الله! كيف يلعن الرجل والديه؟ قال: **«يسُب الرجل أبا الرجل فيسبّ أباه ويسبّ أمه»**. رواه البخاري.

ومن تمام الإحسان إلى الوالدين الإحسان إلى أهل وُدّهما قال ﷺ: **«إن أبرّ البرّ صلةُ الولد أهل ودّ أبيه»**. رواه مسلم.

ومن تمام الإحسان أيضاً قضاءُ ما كان عليهما من دَين لله أو للناس فقد سأل أحد الصحابة رسول الله ﷺ عن نذر كان على أمه، وتُوفيت قبل أن تقضيه فقال رسول الله ﷺ: «فاقضِه عنها». رواه مسلم.

وجاءت امرأة تسأله عن أمها التي ماتت وعليها صوم شهر؟ فقال: «**أرأيتِ لو كان على أمك دَين أكُنتِ قاضيتَه؟**» قالت: نعم. قال رسول الله ﷺ: «**فدين الله أحق بالقضاء**».

وكذلك امرأة سألت عن أمها وماتت ولم تحجّ؟ فقال رسول الله ﷺ: «**حُجيّ عنها**». رواه مسلم.

ولقد ضرب رسول الله ﷺ المثل الأعلى في البر فاستأذن ربّه أن يستغفر لأمه فلم يأذن له، واستأذن في زيارتها فأذن له. رواه مسلم.

وكان ﷺ شديد البر بمرضعاته ومربياته من ذلك أنه جاءت حليمة أمه بالرضاعة فقام إليها وبسط لها رداءه فجلست عليه. (الإصابة لابن حجر ٤/ ٢٧٤).

وحين سيق إليه السّبيُ من هوازن كانت الشيماء بنت حليمة فيهم فلما انتهت إلى رسول الله ﷺ قالت: يا رسول الله إني لأُختك من الرّضاعة وعرّفته بعلامة عرفها ﷺ فبسط لها رداءه، ودمعت عيناه وقال لها: «ههنا»، فأجلسها على ردائه وخيّرها بين أن تقيم معه مُكرمة محبّبة أو أن ترجع إلى قومها، فأسلمت ورجعت إلى قومها، وأعطاها رسول الله نَعَماً وشاه وثلاثة أعبد وجارية.

❋ ❋ ❋

الأم عند السلف

كان السلف رضوان الله عليهم يحتذون منهج النبوة فكان أبو بكر رضي الله عنه لما أسلم حمل إلى أمه الهداية ودعاها إلى الإسلام ولما تعذر عليه إسلامها طلب إلى النبي ﷺ أن يدعو لها فأسلمت، وكذلك فعل أبو هريرة رضي الله عنه.

وعندما سمع عمر بن الخطاب صوت صائحة تَقَصّى خبرها فعرف أنها جارية من قريش تُباع أمها، فقال لحاجبه: ادع لي (أو قال: عليّ) بالمهاجرين والأنصار فلم يمكث إلا ساعة حتى امتلأت الدار والحجرة قال: فَحمِدَ الله وأثنى عليه ثم قال:

أما بعد: فهل تعلمون أنه كان مما جاء به محمد ﷺ القطيعة؟ قالوا: لا قال: فإنها أصبحت فاشية ثم قرأ ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ ﴾ [محمد: ٢٢].

ثم قال: وأيّ قطيعة أعظم من أن تباع أم امرئ فيكم وقد أوسع الله لكم؟ قالوا: فاصنع ما بدا لك. قال: فكتب في الآفاق: ألا تُباع أمّ حُرّ فإنها قطيعة رحم، وإنه لا يحلُّ. رواه الحاكم

وبرّ الأم يعني: إحسان عشرتها وتوقيرها وخفض الجناح لها وطاعتها في غير المعصية، والتماس رضاها في كلّ أمر، حتّى الجهاد، إذا كان فرض كفاية لا يجوز إلاّ بإذنها، لأنّ برّها ضرب من الجهاد.

لذا ينبغي التّنبيه إلى مكانة الأم والتّذكير بواجب الأولاد والمجتمع تجاهها، وليتقّ الأولاد الله وليقدِّروا للأم حقَّها وبرَّها، ولينتهين أقوام عن عقوق أمّهاتهم قبل أن تحلّ بهم عقوبة الله وقارعته، ففي الصّحيحين يقول النّبيّ ﷺ: «**إنّ الله حرَّم عليكم عقوق الأمّهات**»، وعند أحمد وابن ماجه أنّ النّبيّ ﷺ قال: «**إنّ الله يوصيكم في أمّهاتكم**» قالها ثلاثاً، وعند الترمذي في جامعه عن النّبيّ ﷺ قال: «**إذا فعلت أمّتي خمس عشرة خصلة حلَّ بها البلاء**.. وذكر منها: **وأطاع الرّجل زوجته وعقَّ أمّه**».

إنّ للأم مكانة غفل عنها جُلّ النّاس بسبب ضعف الوازع الدّيني المنجي من الوقوع في الإثم والمغبَّة. وعلينا جميعاً أن نعلم أنّ الأم خير حانية، لطيفة المعشر، تحتمل الجفوة وخشونة القول، تعفو وتصفح قبل أن يُطلب منها العفو أو الصّفح، حملت جنينها في بطنها تسعة أشهر، يزيدها بنموه ضعفاً، ويحمِّلها فوق ما تطيق عناء، وهي ضعيفة الجسم، واهنة القوى، تقاسي مرارة القيء والوحم، تحمله وهناً على وهن، تفرح بحركته، وتقلق بسكونه، ثمّ تأتي ساعة خروجه فتعاني ما تعاني من مخاضها، حتّى تكاد تيأس من حياتها، ثمّ لا يكاد الجنين يخرج في بعض الأحايين إلاّ قسراً وإرغاماً، فيمزق اللّحم، أو تبقر البطن، فإذا ما أبصرته إلى جانبها نسيت آلامها، وكأنّ شيئاً لم يكن إذا انقضى، ثمّ تعلّق آمالها عليه، فترى فيه بهجة الحياة وسرورها، ثمّ تنصرف إلى خدمته في ليلها ونهارها، تغذّيه بصحتها، وتنميه بهزالها، تخاف عليه رقّة النّسيم، وتؤثِره على نفسها بالغذاء والنّوم والرّاحة، تقاسي في إرضاعه وفطامه وتربيته ما ينسيها آلام حملها ومخاضها.

يقول تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾ [الإسراء: ٢٣، ٢٤].

إنّ المرأة بوصفها أماً في الإسلام فلها غاية خاصة وشأن جليل وفضل عظيم ووظيفة سامية ورسالة خطيرة، فهي المدرسة الأولى الخالدة والقدوة المباشرة الملازمة الدّائبة، وهي للأسرة مثال القلب للجسم، والأسرة هي أساس المجتمع.

ومن رعاية الإسلام للأمومة وحقّها وعواطفها: أنّه جعل الأم المطلقة أحقّ بحضانة أولادها، وأولى بهم من الأب. قالت امرأة: يا رسول الله، إنّ ابني هذا، كان: بطني له وعاء، وثديي له سقاء، وحجري له حواء، وإنّ أباه طلّقني، وأراد أن ينتزعه منّي! فقال لها النّبيّ ﷺ: «أنتِ أحقّ به ما لم تنكحي». والأمّ الّتي عنى بها الإسلام كلّ هذه العناية، وقرّر لها كلّ هذه الحقوق، عليها واجب: أن تحسن تربية أبنائها، فتغرس فيهم الفضائل، وتبغضهم في الرّذائل، وتعوّدهم طاعة الله، وتشجّعهم على العمل والجدّ والاجتهاد وطلب العُلى والبُعد عن الدّعَة والكسل والخمول.

إنّ دور الأمّ عظيم في الأسرة والمجتمع، فهي مربّية الأجيال وحاضنتهم، فإذا قامت بدورها في التّربية العقدية والتعبّدية والأخلاقية والجسمية صحّ الأبناء، وبتعاون الأمهات كلّهنّ على تربية أبناء المجتمع يصلح المجتمع.

ومن نظر في تاريخ العلماء العظام وجد أنّ كثيراً منهم كانت وراءهم أمّهات طيّبات صالحات، كان لهنّ أكبر الأثر في تعليمهم، ومن أمثلة ذلك أمّهات ربيعة ومالك والشّافعي وسفيان وغيرهم، ومن توجيهات القرآن: أنّه وضع أمام المؤمنين والمؤمنات أمثله فارعة لأمّهات صالحات كان لهنّ أثر ومكان في تاريخ الإيمان، منهنّ سيّدتنا مريم ابنة عمران أمّ المسيح عيسى، جعلها القرآن آية في الطّهر والقنوت لله والتّصديق بكلماته: ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾﴾.

***

أمهات المؤمنين

رفع الله تعالى قدر زوجات نبيه رضوان الله عليهنّ، ومنحهنّ منزلةً رفيعةً في الدنيا والآخرة، وكانت أولى دلائل هذا التوقير والاحترام؛ أن جعلهنّ للمؤمنين في منزلة أمّهاتهم، وذكر ذلك في القرآن الكريم، فقد قال الله تعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡ﴾ [الأحزاب: ٦]، فأشارت الآية الكريمة إلى وجوب احترام وتوقير المؤمنين لزوجات النبيّ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ إذ جُعلن في منزلة أمّهاتهم، يقول ابن تيمية رحمه الله في الآية إنّها أفادت تحريم نكاح أيٍّ من زوجات النبيّ بعد وفاته أيضاً، ولقد كرّم الله تعالى زوجات النبيّ كذلك حين جعل منزلتهنّ في الجنّة، قال ابن كثير: جعلت منازل أمّهات المؤمنين في أعلى عليين، فوق منازل الخَلق أجمعين، حيث الوسيلة؛ وهي أقرب المنازل من العرش في الجنّة.

ولقد بان فضل أمّهات المؤمنين رضوان الله عليهنّ حين خيرهنّ الله تعالى بين البقاء في عصمة الرسول ﷺ مع صعوبة حاله وضيق ذات اليد عنده، وبين أن يسرحهنّ ويطلقهنّ طلاقاً يورثهنّ به شيئاً من المال والسعة، فاخترن جميعهنّ البقاء في عصمة رسول الله ﷺ ورغبن فيما عنده من فضلٍ وأجرٍ.

وقد ذكر الله تعالى ذلك في القرآن الكريم بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ

قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [الأحزاب: ٢٨ - ٢٩]، وكذلك فقد ضاعف الله أجرهنّ حين يطعن رسول الله فقال الله تعالى: ﴿ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُّؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ ﴾ [الأحزاب: ٣١].

وهناك شكلٌ آخر لتفضيل الله تعالى لزوجات نبيه على سواهنّ من نساء المؤمنين، وهو اختيارهنّ ليتنزّل القرآن الكريم في بيوتهنّ على النبيّ، ولم ينزل في بيت أحدٍ سواهنّ قطّ، فكان هذا من فضل الله عليهنّ.

أمّهات المؤمنين تزوّج النبي صلّى الله عليه وسلّم إحدى عشرة زوجةً، هنّ أمّهات المؤمنين، وقد اختلفت ظروف زواجه لكلّ واحدة منهنّ وسبب الزواج، وقد كانت أولاهنّ خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ولم يجمع معها زوجةً أخرى، ثمّ بعد وفاتها كان له عشر زوجاتٍ أُخر، فيما يأتي تعريفٌ بكلّ واحدةٍ من أمّهات المؤمنين رضي الله عنهنّ: خديجة بنت خويلد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وهي خديجة بنت خُوَيلد بن أسد بن عبد العُزّى بن قصي، كانت طاهرةً عفيفةً في الجاهليّة، تزوجها رسول الله بعدما استأجرته لتجارةٍ لها في الشام، ولم تكن خديجة بكراً، بل كانت زوجةً لرجلين هما: أبو هالة بن زرارة التميمي وعتيق بن عابد بن مخزوم، وأنجبت خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا للنبيّ: القاسم وعبد الله ورقية وزينب وأم كلثوم وفاطمة، ولقد كانت خديجة أول من آمن بالنبيّ عَلَيْهِ السَّلَامُ لمّا سمعت حديثه عن الوحي، فصدّقته ودعمته وآزرته، وكانت له صدراً

حنوناً وملجأً إذا عصفت الشدائد وأقبلت، ولقد أحبّها رسول الله حبّاً شديداً، وقد بلغت عند الله كذلك منزلةً رفيعةً، إذ ورد عن النبيّ عَلَيْهِ السَّلَامُ قوله عن جبريل أنّه يحدّثه فيقول له: (فإذا هي أَتَتْكَ فاقْرَأْ عليها السلام مِن ربِّها ومنِّي، وبَشِّرْهَا ببيتٍ في الجنةِ مِن قَصَبٍ لا صَخَبٌ فيه ولا نصبٌ)، وتوفّيت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في شهر رمضان في السنة العاشرة من بعثة النبيّ.

سودة بنت زمعة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، كانت السيدة سودة متزوّجةً من السكران بن عمرو بن عبد شمس، وقد أسلمت وأسلم زوجها في بدايات الدعوة الإسلاميّة، ثمّ توفّي عنها زوجها في مكّة، فتزوجها النبيّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وذلك بعد وفاة خديجة، وبقيت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زوجةً وحيدةً للنبيّ ما يقارب الثلاث سنواتٍ، حتى تزوّج بعدها عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وإنّ من أكثر ما يذكر من السيدة سودة أنّها وهبت الليلة التي يبيت فيها النبيّ عَلَيْهِ السَّلَامُ في بيتها لعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وكانت السيدة عائشة تحبّها كثيراً وتذكر خصالها الرفيعة الحسنة، وتوفّيت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في زمن خلافة عمر بن الخطاب.

عائشة بنت أبي بكر، ولدت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بعد البعثة بأربع أو خمس سنوات، وقد ذكر النبيّ أنّ زواجه منها كان بأمرٍ من الله سبحانه، فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: (أُرِيتُكِ قبلَ أن أتزوجَكِ مَرَّتَيْنِ، رأيتُ المَلَكَ يَحْمِلُكِ في سَرَقَةٍ من حريرٍ، فقلتُ له: اكْشِفْ، فكشف فإذا هي أنتِ، فقلتُ: إن يَكُنْ هذا من عندِ اللهِ يُمْضِه، ثم أُرِيتُكِ يَحْمِلُكِ في سَرَقَةٍ من حريرٍ، فقلتُ: اكْشِفْ، فكشف، فإذا هي أنتِ، فقلتُ: إن يَكُ هذا من عندِ اللهِ يُمْضِهِ)، وقد دخل النبي بعائشة بعد ثمانية عشر شهراً من هجرته إلى

المدينة، وأمّا صفات عائشة وفضائلها ومواقفها فلا تُحصى، فلقد كانت أحبّ الخَلق إلى رسول الله؛ فعندما سُئل عن ذلك أجاب: عائشة.

وقد ورد أنّ جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ تنزّل على النبيّ؛ ليقرأها السّلام، وقد حوت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا العديد من العلوم كالطب والشعر والفقه والقرآن والحديث والمواريث وعلم الأنساب وغير ذلك، ولقد أحسّت باقي زوجات النبيّ عَلَيْهِ السَّلَامُ بتميّزها، وتفضيل النبيّ لها حتى غِرن منها وراجعن رسول الله في ذلك، فأجاب النبيّ أمّ سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في حينها عن ذلك فقال: (يا أمَّ سَلَمَةَ، لا تُؤْذِيني في عائشةَ، فإنّه والله ما نَزَلَ عليَّ الوَحْيُ وأنا في لحافِ امرأةٍ منكن غيرَها)، وتوفّيت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في رمضان، سنة سبعٍ وخمسين، ودفنت في البقيع.

حفصة بنت عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وهي حفصة بنت عمر بن الخطاب بن نُفيل بن عَدي بن كعب بن لُؤي، ولدت حفصة قبل البعثة بخمس سنين، وقد كانت زوجة خُنيس بن حُذافة، الذي شهد غزوتي بدر وأحد، وأصيب في أحد واستشهد على إثر ذلك، فتزوجها النبيّ ﷺ بعد ذلك في شعبان سنة ثلاثٍ للهجرة، فمكثت مع النبيّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وكانت ذات فضلٍ وخُلقٍ كريمين، وتوفّيت سنة خمسٍ وأربعين للهجرة.

زينب بنت خزيمة، وقد كنّيت بأمّ المساكين؛ لأنّها كانت كثيرة العطف والمعاونة للمساكين والمحتاجين، تزوجت من الطفيل بن الحارث فطلّقها، ثمّ تزوجت أخاه عبيدة بن الحارث فمات عنها شهيداً يوم بدر، ثم خطبها النبيّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، لكنّها لم تمكث معه إلا شهرين أو ثلاثة ثم ماتت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. أمّ سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وهي هند بنت أبي أميّة بن المغيرة المخزوميّة، أسلمت قديماً هي وزوجها، وهاجرت الهجرتين،

ثمّ مرض عنها زوجها ومات، فتزوّجها رسول الله عَلَيْهِ السَّلَامُ سنة أربعةٍ للهجرة، وكانت السيدة أمّ سلمة تعدّ من أفقه الصحابيات، وقد روت عن النبيّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ثلاثمئة وثمانية وسبعين حديثًا، اتفق الشيخان على ثلاثة عشر منهم، وانفرد البخاريّ بثلاثةٍ، ومسلمٌ بثلاثة عشر حديثاً، توفّيت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في زمن خلافة يزيد بن معاوية، سنة إحدى وستّين، وقد بلغت التسعين من عمرها.

زينب بنت جحش رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وهي ابنة عمّة رسول الله، كانت السيدة زينب زوجةً لزيد بن حارثة رضي الله عنه، وقد كان النبيّ عَلَيْهِ السَّلَامُ قد أعلن في الجاهليّة تبنيه لزيد رضي الله عنه، فلمّا أبطل الإسلام التبنّي، أراد الله تعالى أن يوثّق هذا الشرع عند المسلمين، فشاء الله تعالى أن يطلّق زيد زوجته، ثمّ يأتي الأمر من الله سبحانه في القرآن الكريم لنبيّه أن يتزوّجها، وذلك في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ ﴾ [الأحزاب: ٣٧] ، وجاء في فضل زينب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنّها كثيرة الإنفاق في سبيل الله، واصلةٌ لرحمها، من أتقى الناس وأصدقهم حديثاً، توفّيت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا سنة عشرين للهجرة عن ثلاثةٍ وخمسين عاماً، وهي أوّل زوجات النبيّ عَلَيْهِ السَّلَامُ لحاقاً به.

جويريّة بنت الحارث رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، كان اسمها برّة فسمّاها رسول الله عَلَيْهِ السَّلَامُ جويريّة، وقعت في السبي سنة خمسٍ للهجرة، مع أهلٍ لها من بني المصطلق، وحينما أرادت أن تكاتب نفسها ممّن أسرها، خيّرها رسول الله عَلَيْهِ السَّلَامُ بخيرٍ من ذلك، وهو أن يكاتبها ثمّ يتزوّجها، فوافقت على ذلك، فعندما شاع خبر زواج رسول الله منها، كره

الصحابة أن يكون أهلها وهم أصهار رسول الله عَلَيْهِ السَّلَامُ في الأسر بين أيديهم؛ فأطلقوهم جميعاً، فكانت من أكثر النساء فضلاً على قومها.

أمّ حبيبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وهي رملة بنت أبي سفيان، كانت متزوّجةً من عُبيد الله بن جحش، وقد أسلما معاً، إلا أنّه ارتدّ إلى النصرانيّة ومات على ذلك، وقد كانت حينها في الحبشة في بلاد النجاشي، فأرسل رسول الله ﷺ إليه ليلي أمر نكاحها له، فكان ذلك، وقد كان صداقها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أربعمئة دينارٍ، وهي أكثر نساء النبيّ مهراً. صفية بنت حيي بن أخطب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وهي امرأةٌ اسرائيليّةٌ من أسباط هارون بن عمران.

وكانت السيدة صفيّة وقعت في الأسر أثناء غزوة خيبر، في سهم أحد الصحابة، فاشتراها منه رسول الله ﷺ وتزوّجها، وقد تميّزت السيّدة صفيّة بكونها شريفةً عاقلةً، ذات جاهٍ وحسبٍ ودينٍ وجمالٍ، وقد توفّيت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا سنة خمسين للهجرة. ميمونة بنت الحارث الهلاليّة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وهي آخر زوجةٍ تزوّجها النبيّ ﷺ وقد امتدحت السيدة عائشة فيها تقاها لله وصلتها للرحم، وتوفيت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا سنة إحدى وخمسين للهجرة.

الحكمة من تعدّد زوجات النبيّ

تعدّدت حكم تعدّد زواجات النبيّ ﷺ وظهرت جليّاً في أكثر من موقفٍ.

فقد كان زواجه عَلَيْهِ السَّلَامُ من السيدة زينب بنت جحش؛ لإثبات حكمٍ شرعيٍّ أراد الله تعالى أن يثبته ويحقّقه، وأمّا الزواج من السيدة جويريّة؛ فهو لتأليف قلوب قومها للدخول في الإسلام والنجاة من عذاب الله تعالى يوم القيامة، وذلك بعد أن أطلق سراح كلّ من كان

أسيراً في يد المسلمين بسبب ذلك الزواج المبارك، وجاء زواج النبيّ عَلَيْهِ السَّلَامُ من السيدة عائشة وحفصة؛ لأسبابٍ اجتماعيّةٍ تخصّ والديهما أولاً؛ وذلك بالتقرّب إليهما وتقديم الشكر والتقدير لكلّ جهودهما المبذولة خدمةً للنبيّ والإسلام، ويلي ذلك إنشاء علاقة مصاهرةٍ ونسبٍ بين أطراف عوائل قريش وكبارها.

❊ ❊ ❊

الأم في الكتاب المقدّس

لم يُطلق هذا اللّفظ في العهد القديم على الأمّ الحقيقيّة فحسب، بل كان يُطلق أيضًا على الجدّة وزوجة الأب وعلى القائدة، فمقام الأم بارز في الكتاب المقدّس، فقد ورد في سفر الأمثال الكثير عنهنّ مثلاً: «الابن الحكيم يَسُرُّ أباه والابن الجاهل غمّ لأمّه»، وكذلك في التّوراة: أكرم أباك وأمّك، لكي تطول أيّامُك في الأرض الّتي يُعطيك الرّب إلهك إيّاها، وكانت أمُّ الملك تكرّم وتحترم جدًّا، وكانت مريم أمّ الرّب يسوع المسيح المباركة مثالاً نبيلاً للأمومة في إيمانها.

وفي محبتها لأبنها عندما بحثت عنه ولم تجده، وقد عهد المخلِّص وهو على الصّليب بأمّه إلى الرّسول يوحنّا. وقد أخذ تيموثاوس الإيمان ومعرفة الكتاب المقدّس عن أمه أفينكي التي نشأت بدورها في معرفة الرّب على يدي أمها لوئيس(٧). إن الأم إذ تعطي الحياة، تحتلّ مكانة ممتازة في حياة النّاس العاديّة، كما في تاريخ الخلاص، فهي تُعطي الحياة ويجب أن تكون محبوبة، إلاّ أنّ الحب الواجب نحوها ينبغي أن يبلغ أحيانًا إلى حدّ التّضحية

أوّلاً: الدّعوة إلى الخصب

قصد آدم بتسمية امرأته «حواء» أن يُشير إلى دعوتها لأن تكون «أم الأحياء». يروي سفر التّكوين كيف تتحقق فيما بعد دعوة المرأة،

وأحيانًا رغم الظروف المعاكسة، كما فعلت سارة عندما لجأت إلى حيلة عندما طلبت من إبراهيم أن يدخل على الخادمة هاجر لينجب البنين، وتعمَّد ابنتا لوط إلى زنىً محرَّم، وراحيل تلجأ إلى التَّهديد صارخة في وجه زوجها يعقوب: «هب لي ولدًا، وإلا فإني أموت» ولكنَّ يعقوب يجيب معترفًا بأنه لا يستطيع أن يحلَّ محل الله.

في الواقع، الله وحده الذي وضع في قلب المرأة رغبة الأمومة الملحّة، فهو يفتح ويغلق الأحشاء الأموميّة: إنه هو وحده يستطيع أن يتغلَّب على العقم.

ثانيًا: الأمّ في الأسرة

عندما تُصبح المرأة أمًّا تتهلَّل، إن حواء عند ولادتها الأولى ابتهجت فرحًا، وقالت: «قد رُزقتُ رجلاً من عند الرب»، فرحًا سوف يُخلِّده اسم قايين الَّذي يعني «اقتنى»، وكذلك يذكِّرنا «اسحق» بضحك سارة وفرحها ساعة ولادته، ويوسف يذكِّرنا برجاء راحيل بأن يكون لها ولدًا. على أن المرأة لا تدخل بأمومتها في تاريخ الحياة فحسب، بل وتثير عند زوجها تعلُّقًا أوثق بها. أخيرًا تعلن الوصايا العشر أنه يحقّ للأم أن تجد لها لدى أولادها احترامًا، مثل الأب تمامًا، ويوجب جميع أنواع التَّهاون بالنِّسبة إليها العقاب نفسه: «من لعن أباه أو أمَّه، فليُقتل قتلاً»، وتلحّ كتب الحكمة بدورها بشأن الاحترام الذي يتوجب على كل انسان نحو أمه مثلاً: «من يلعن أباه أو أمّه ينطفئ سراجه في قلب الليل»، كما أنَّه ينبغي الاستماع إليها واتباع تعليماتها.

ثالثًا: الملكة الأم

يبدو أن دورًا خاصًّا كان يقع على عاتق أُم الملك، الَّتي هي

وحدها تتمتّع بخلاف الزّوجة بكرامة خاصّة عند الأمير المالك، فكانت تدعى بـ «السيدة الكبيرة» مثل بتشابع. قد يوضح هذا العُرف ظهور الأمومة في إطار «المسيحانيّة الملكيّة»، هذا وجديرٌ بنا أن نشير إلى دور أم يسوع، الّتي اغدقت عليها لغة التّقوى المسيحيّة اسم «سيدتنا».

رابعًا: معنى الأمومة العميق

إن واجب التّقوى البنويّة لم يبطله مجيء المسيح، بل أكمله، فحبًّا بيسوع يجب أن نتجاوز التّقوى البنويّة، بتكميلها بالتّقوى نحو الله ذاته، فقد جاء يسوع، «ليفرّق بين البنت وأمها»، وهو يعد بمائة ضعف كل من ترك من أجله أبًا أو أمًا، وعليه، فمن يريد أن يستحق يسوع يجب أن يكون أهلاً لأن «يبغض أباه وأمه»؛ أي أن يحبَّ يسوع أكثر من والديه

إنَّ يسوع نفسه يكون لنا القدوة في تضحية العلاقات بالأم: ففي الهيكل، وهو بعد في الثانية عشرة، يدّعي الحق تجاه أمه على أن يكون في بيت أبيه فلئن لبّى أخيرًا في قانا ما تطلبه أمه، فذلك لكي يُفهمها أن ليس لها بعد أن تتدخل في شؤونه، وذلك إمَّا لأن ساعة خدمته العامَّة قد أذنت، وإمَّا لأن ساعة الصَّلب لم تأتِ بعد، على أن يسوع وإن أقام على هذا النَّحو فارقًا بينه وبين أمّه، فليس معنى ذلك أنَّه يتجاهل عظمة مريم الحقيقيَّة: بل يكشف عنها بالعكس من خلال الإيمان الَّذي تبديه: «من هي أمي ومن هم إخوتي؟» ويشير بيده إلى تلاميذه؛ إنَّه يشرح للمرأة المعجبة بأمومة مريم الجسديَّة، أنَّ مريم هي المؤمنة بكل معنى الكلمة، لأنَّها تسمع كلمة الله وتنفّذها عمليًّا، هذه الأمومة الرُّوحية يوسّع يسوع دائرتها لتشمل جميع تلاميذه، عندما يصرّح من علوِّ صليبه، للتلميذ الذي يحبه: «هذه أمك».

خامسًا: الأُم في تاريخ الخلاص

إنَّ الصِّفات المميِّزة للأم، نجدها منقولة مجازًا في صدد التَّعبير عن موقف إلهيّ معيّن، أو عن حقيقة تتعلَّق بالوعود المرتبطة بالمسيَّا، أو أيضًا عن خصوبة الكنيسة

أ) الحنان والحكمة الإلهية: إنَّ ملء الحياة يفيض في الله لدرجة تدعو إسرائيل إلى أن يطلق عليه اسم الأب والأم. وتعبيرًا عن حنان الله «الرَّحيم» يستعمل لفظ «رَحَميم» الذي يعني الأحشاء الأموميَّة، ويذكِّر بالانفعال الباطنيّ الَّذي تشعر به المرأة نحو ثمرة أحشائها إن الله يُعزّينا كأم، ولئن وُجد بين النِّساء من تنسى ابن أحشائها، فالله لن ينسى إسرائيل أبدًا: هكذا يريد يسوع أن يجمع أبناء أورشليم.

ب) أُم المسيّا: إن النبوءات تعلن مسبقًا أن المرأة الَّتي سيسحق نسلها رأس الحيّة هي أُم. ثمَّ في الرِّوايات الوارد فيها انتصار الله على العقم، نرى أن النِّسوة اللاتي أعطين للآباء نسلاً، يرمزن رمزًا عن بعد للعذراء - الأم. وقد أعلن هذا الحبل البتوليّ في النبوات الخاصَّة بالعمانوئيل وبتلك التي ينبغي أن تلد، وقد أدرك الإنجيليون منه، على أيَّة حال، تمام النبوَّة في يسوع المسيح.

ج) أم الشعوب: إنَّ أورشليم هي المدينة - الأم بأسمى معنى، المدينة الَّتي يستمد منها السُّكَّان الغذاء والحماية؛ عنها ينبع على وجه الخصوص البّر ومعرفة الله، إنَّها، مثل رفقة، الَّتي تمنَّى لها ذووها بأن تتكاثر فتصير ألوف الربوات، سوف تُصبح أُمًّا لسائر الشُّعوب: إن «لصهيون يقول كل واحد: أُم، لأنَّ فيها كلُّ واحد قد ولِد»، سواء أكان من إسرائيل أم من الأمم.

وها هي أخيرًا، بعد العقاب الذي أبعدها عن عريسها، تُزفُّ من جديد بثوب السَّعادة: «إندفعي بالتَّرنيم واصرخي، أيتها الَّتي لم تتمخَّض، فإن بني المستوحشة أكثر من بني ذات البعل».

إن كلَّ شعوب الأرض ستندفع نحوها «اندفاع الحمام إلى كُواها» (إشعيا ٢: ١- ٥، راجع ٦٠: ١- ٨). إلاَّ أنَّ أورشليم بانطوائها على ذاتها، وبرفضها المسيح، قد خانت هذه الأمومة الروحيَّة (لوقا ١٩: ٤١- ٤٤)، وقد ينقلب أبناؤها عليها ليوبّخونها عن ذلك (هوشع ٢: ٤).

ولذلك فإنه سيُستغنى عنها، وتحل مكانها أورشليم أخرى، تلك التي من فوق، والتي هي أُمنا حقيقةً (غلاطية ٤: ٢٦)، فتنزل من السَّماء، من عند الله (رؤيا ٢١: ٢). وهذه المدينة الجديدة هي الكنيسة التي تلِد أبناءها لحياة أبناء الله وهي أيضًا بوجه خاص كل جماعة مسيحيَّة (٢ يوحنا ١).

ولقد أُعدَّت لإعطاء المسيح ملء جسده، ولجمع كل الشُّعوب في إسرائيل الرُّوحيّ (أفسس٤: ١٣). وباشتراك الرُّسل في هذه الأمومة، يكونون هم الأداة لهذه الخصوبة، الفرحة من خلال الألم (راجع يوحنا ١٦: ٢٠-٢٢).

ويقول بولس لأحبَّائه الغلاطيين أنَّهُ يتمخَّض بهم حتى يُصوِّر فيهم المسيح (غلاطية ٤: ١٩). ويذكر التَّسالونيكيين كيف أنَّه أحاطهم برعايته، كأم تغذّي أولادها (١ تسالونيكي ٢: ٧-٨). إلاَّ أنَّ هذه الأمومة لا قيمة لها، إلا بأمومة المرأة التي تكون دونما انقطاع في آلام الولادة كما في أفراحها. الرَّمز الَّذي من ورائه تبدو كل الأمَّهات. ابتداء

من حواء أمّ الأحياء، إلى الكنيسة أمّ المؤمنين، عبورًا بمريم أم يسوع وأمنا (رؤيا ١٢).

الأم .. روح العائلة

الأم هي الفرد الأكثر أهمية في الأسرة بالنسبة لتربية الطفل والأم هي المدرّسة والمربيّة التي تنشئ الأجيال الصاعدة، فإن صلحت الأمّ صلح المجتمع، وتأخذ الأم النصيب الأكبر في تربية الأولاد، وذلك بسبب أنّ الأب يغيب عن المنزل لساعات طويلة من النهار، فتكون هي الأكثر مقابلة للأطفال، ونلاحظ بأنّ ارتباط الأطفال بأمهم أكبر من ارتباطهم بأبيهم، وذلك لأنّ الأم هي مصدر الحنان.

رغم أنّ الأم مهيّئة جسديّاً لتحمل أعباء الولادة والأمومة والحضانة إلا أنّ دور الأمومة لا يقتصر على منح الأبناء الغذاء المناسب واللباس المرتب والرعاية، حيث إنّ أولى مهام الأم في التربية هي إعطاء الطفل الحنان الذي يحتاجه، حيث إنّ أهم الأمور التي يحتاجها الطفل هي الحنان، فإنّ فقد الحنان يسبّب الكثير من المشاكل والمتاعب للطفل، ونرى الكثير من الأطفال يتّجهون للسلوك الخاطئ بسبب فقرهم للحنان، ولن نقول حبّ الأم لأبنائها؛ لأنّ الحبّ فطرة، ولكن الحرص على التعبير بالقدر المناسب، ومنح الحنان قد تغفل عنه بعض الأمهات.

على الأم أن تكون هي القطب الذي يثبت القيم في المنزل فلابدّ أن تدرك قيمة الثبات على الأخلاق، وخلق حالة من النظام في البيت وأن تعبّر لأبنائها بالطرق التي تناسب أعمارهم عن أهمية الاحترام، والتعاون، والصدق وكلّ القيم الاجتماعية والدينيّة، ويمكنها أن تتخذ

من مواقفها ومواقفهم مادّة للتوجيه المحبّب، وكذلك يمكنها سرد القصص الثرائية أو المشهورة التي تزرع القيمة، فيخرج الابن من أسرته بقدرة ولو بسيطة على التمييز بين الصواب والخطأ، والحكم على المواقف من منظور أسرته، وليس على الأم أن تقلق كثيراً من قدرته على الاكتساب في هذه المرحلة بقدر ما عليها أن تكون حذرة، فهو يكتسب بسرعة الجيّد والسيئ على السواء.

❊ ❊ ❊

الأم مربية

يبدأ مشوار التربية منذ حمل الأم بطفلها حيث إنّ ما يحيط بالطفل يؤثر فيه كما أثبتت الدراسات العلميّة، فمن ناحية مادية غذاء الأم يصل إلى جنينها ويؤثر على صحّته ونمّوه، وهو أيضاً يمتلك حاسة السمع في شهور الحمل المبكرة، لذا فهو يستمع إلى الأصوات ويتذكّرها، وغيرها من الحواس تعمل لدى الجنين بالتدريج مع نموّه فيبدأ بالاكتساب من خلالها، فعلى الأم أن تتقبّل فكرة أنّه إنسان متكامل وسريع الاكتساب أكثر من أيّ مرحلة أخرى، فتنمّي أحاسيسه هذه بما يناسب مبادئها.

من ناحية أخرى الحالة المعنويّة للأم تؤثر على الطفل فالانفعالات العاطفيّة للأم كما تقول اختصاصيّة التوليد تريز رمزي تؤثر على الجهاز العصبي للأمّ وبالتالي على نموّ الطفل، فمادة الإدرينالين تمرّ إلى الطفل من خلال المشيمة، وقد يتّخذ تأثيرها عليه شكل زيادة الحركة، وقد تؤثر العصبية على الأم نفسها فتمنعها من الأكل فيؤثر ذلك على الجنين بشكل مباشر.

لتستعدّ الأمّ في هذه المرحلة للمراحل القادمة وتكون بنفسية جيّدة عليها أن تتحلّى بالإيمان بالقدر والتوكّل، فتقبّلها أو فرحها بالإنجاب مؤثر على جنينها ومؤثّر على سلوكها، ويمكنها أن تبدأ

بالتثقّف حول التربية ومبادئها وتكتسب المعرفة عن مراحل الطفولة وسماتها لتجيد التعامل مع طفلها، حيث إنّ الطفولة مراحل سريعة التغيير وسماتها مختلفة، ولكلّ مرحلة أساليب تعامل تعليم تناسبها، فعلى الأم أن تتحرّر من عادات التربية السيّئة التي قد تكون سائدة في مجتمعها، وتستعد لاستبدالها بالمعرفة المستندة إلى العلم، حيث إنّ صناعة الإنسان ليست بالمهمة التي يمكن أن تُنجز بالاستناد فقط إلى العادات والتقاليد، وإن كانت لا تخلو من الجيّد منها، وأن تجعل دافعها إلى ذلك هو ذلك الحبّ الصادق في داخلها تجاه الطفل القادم.

❋ ❋ ❋

كيف تربي الأم أبناءها؟

على الأم أن لا تتهرب أو تنشغل عن التواصل اليوميّ والدائم مع أبنائها في جميع مراحلهم العمرية، فإنّ أول تحديات هذا العصر هو غياب الأم الذي أضيف إلى غياب الأب مسبقاً، فكيف تتصور الأسرة نشاة الابن في غياب التواصل مع مصدر التعلم والحبّ والتعليم الأول وهو الأسرة والأم، وفي هذا الشأن يمكّن للأم سؤال أبنائها عن يومهم المدرسيّ أو عما شاهدوه في طريقهم إلى شراء حاجياتهم حتى يعتادوا على إخبارها فيمنحها ذلك الفرصة لتوجيههم، ومساعدتهم في حال تعرّضوا لمشكلات لا يستطيعون حلّها بأنفسهم، ولأنّ التواصل حاجة إنسانية بالمرتبة الأولى.

التعزيز هو مدح السلوك الجيّد أو مقابلته بعطاء ماديّ أو سلوك إيجابيّ والإنسان عموماً كبيراً كان أو صغيراً يحبّ التعزيز، ولكن بالنسبة للأطفال على الأم أن تبثّ البهجة، والألوان، والتفاعل الصوتيّ والحركيّ في أساليب تعزيزها، ويمكنها اللجوء للمكافأة المادية باعتدال. وعند ذكر التعزيز تذكر العقوبة فيجدر التنبيه إلى أنّه على الأم إذا لجأت للعقاب أن تتجنّب إهانة طفلها سواء أمام الآخرين أو وحده، حيث إنّ الإهانة تسبّب اضطراباً في شخصية الطفل، والإحساس بقلّة الثقة بالنفس، وقد تجعله خجولاً ولا يحبّ الاختلاط بالآخرين، الأمر الذي يعمل على تدمير شخصية الطفل.

الاستقرار الأسريّ من أكثر المؤثرات على الأبناء حيث إنّ أوّل علاقة يتفتح عليها الطفل هي علاقة أمه بأبيه، وهو كذلك كطفل أو

كمراهق يستمدّ استقراره وإحساسه بالأمان من إحساس أمّه بالأمان، وكذلك فإنّ الاستقرار الأسري يدعم الثبات في التربية حيث لا تتضارب أقوال الأم والأب ومواقفهم فتضطرب القيمة عند الابن.

❊ ❊ ❊

دور الأم في مرحلة الطفولة المبكرة

الطفولة المبكرة مرحلة مهمة لتنشئة الطفل، ودور الأم فيها أكبر من غيرها، فهي في مرحلة الرضاعة أكثر من يتعامل مع الطفل، ولحكمة عظيمة يريدها الله سبحانه وتعالى يكون طعام الرضيع في هذه المرحلة من ثدي أمه وليس الأمر فقط تأثيراً طبيًّا أو صحيًّا، وإنما لها آثار نفسية أهمها إشعار الطفل بالحنان والقرب الذي يحتاج إليه، ولهذا يوصي الأطباء الأم أن تحرص على إرضاع الطفل، وأن تحرص على أن تعتني به وتقترب منه لو لم ترضعه.

وهنا ندرك فداحة الخطر الذي ترتكبه كثير من النساء حين تترك طفلها في هذه المرحلة للمربية والخادمة؛ فهي التي تقوم بتنظيفه وتهيئة اللباس له وإعداد طعامه، وحين يستعمل الرضاعة الصناعية فهي التي تهيئها له، وهذا يفقد الطفل قدراً من الرعاية النفسية هو بأمس الحاجة إليه.

وإذا ابتليت الأم بالخادمة -والأصل الاستغناء عنها- فينبغي أن تحرص في المراحل الأولية على أن تباشر هي رعاية الطفل، وتترك للخادمة إعداد الطعام في المنزل أو تنظيفه أو غير ذلك من الأعمال، فلن يجد الطفل الحنان والرعاية من الخادمة كما يجدها من الأم، وهذا له دور كبير في نفسية الطفل واتجاهاته في المستقبل، وبخاصة أن كثيراً من الخادمات والمربيات في العالم الإسلامي لسن من المسلمات، وحتى المسلمات غالبهن من غير المتدينات، وهذا لايخفى أثره، والحديث عن هذا الجانب يطول، ولعلي أن أكتفي بهذه الإشارة.

فالمقصود أن الأم يجب ان تتعامل في هذه المرحلة مع الطفل أكثر مما يتعامل معه الأب، وفي هذه المرحلة يكتسب الطفل العديد من العادات والمعايير، ويكتسب الخلق والسلوك الذي يصعب تغييره في المستقبل، وهنا تكمن خطورة دور الأم.

❊ ❊ ❊

دور الأم مع البنات

لئن كانت الأم أكثر التصاقاً بالأولاد عموماً في الطفولة المبكرة، فهذا القرب يزداد ويبقى مع البنات.

ولعل من أسباب ما نعانيه اليوم من مشكلات لدى الفتيات يعود إلى تخلف دور الأم التربوي، فالفتاة تعيش مرحلة المراهقة والفتن والشهوات والمجتمع من حولها يدعوها إلى الفساد وتشعر بفراغ عاطفي لديها، وقد لا يشبع هذا الفراغ إلا في الأجواء المنحرفة، أما أمها فهي مشغولة عنها بشؤونها الخاصة، وبالجلوس مع جاراتها وزميلاتها، فالفتاة في عالم والأم في عالم آخر.

إنه من المهم أن تعيش الأم مع بناتها وتكون قريبة منهن؛ ذلك أن الفتاة تجرؤ أن تصارح الأم أكثر من أن تصارح الأب، وأن تقترب منها وتملأ الفراغ العاطفي لديها.

ويزداد هذا الفراغ الذي تعاني منه الفتاة في البيت الذي فيه خادمة، فهي تحمل عنها أعباء المنزل، والأسرة ترى تفريغ هذه البنت للدراسة لأنها مشغولة في الدراسة، وحين تنهي أعباءها الدراسية يتبقى عندها وقت فراغ، فبم تقضي هذا الفراغ: في القراءة؟ فنحن لم نغرس حب القراءة لدى أولادنا.

وبين الأم وبين الفتاة هوه سحيقة، تشعر الفتاة أن أمها لا توافقها في ثقافتها وتوجهاتها، ولا في تفكيرها، وتشعر بفجوة ثقافية وفجوة حضارية بينها وبين الأم؛ فتجد البنت ضالتها في مجلة تتحدث عن

الأزياء وعن تنظيم المنزل، وتتحدث عن الحب والغرام، وكيف تكسبين الآخرين فتثير عندها هذه العاطفة، وقد تجد ضالتها في أفلام الفيديو، أو قد تجد ضالتها من خلال الاتصال مع الشباب في الهاتف، أو إن عدمت هذا وذاك ففي المدرسة تتعلم من بعض زميلاتها مثل هذه السلوك.

❊ ❊ ❊

مقترحات تربوية للأم

أولاً: الشعور بأهمية التربية

إن نقطة البداية أن تشعر الأم بأهمية التربية وخطورتها، وخطورة الدور الذي تتبوؤه، وأنها مسؤولة عن جزء كبير من مستقبل أبنائها وبناتها، وحين نقول التربية فإنا نعني التربية بمعناها الواسع الذي لايقف عند حد العقوبة أو الأمر والنهي، كما يتبادر لذهن طائفة من الناس، بل هي معنى أوسع من ذلك.

فهي تعني إعداد الولد بكافة جوانب شخصيته: الإيمانية، والجسمية، والنفسية، والعقلية الجوانب الشخصية المتكاملة أمر له أهمية وينبغي أن تشعر الأم والأب أنها لها دور في رعاية هذا الجانب وإعداده.

وفي جانب التنشئة الدينية والتربية الدينية يحصرها كثير من الناس في توجيهات وأوامر أو عقوبات، والأمر أوسع من ذلك، ففرق بين شخص يعاقب ابنه حيث لا يصلي وبين شخص آخر يغرس عند ابنه حب الصلاة، وفرق بين شخص يعاقب ابنه حين يتفوه بكلمة نابية، وبين شخص يغرس عند ابنه رفض هذه الكلمة وحسن المنطق، وهذا هو الذي نريده حين نتكلم عن حسن التربية، فينبغي أن يفهم الجميع -والأمهات بخاصة- التربية بهذا المعنى الواسع.

ثانياً: الاعتناء بالنظام في المنزل

من الأمور المهمة في التربية -ويشترك فيها الأم والأب لكن نؤكد على الأم- الاعتناء بنظام المنزل؛ فذلك له أثر في تعويد الابن على السلوكيات التي نريد.

إننا أمة فوضوية: في المواعيد، في الحياة المنزلية، في تعاملنا مع الآخرين، حتى ترك هذا السلوك أثره في تفكيرنا فأصبحنا فوضويين في التفكير.

إننا بحاجة إلى تعويد أولادنا على النظام، في غرفهم وأدواتهم، في مواعيد الطعام، في التعامل مع الضيوف وكيفية استقبالهم، ومتى يشاركهم الجلوس ومتى لايشاركهم؟

ثالثاً: السعي لزيادة الخبرة التربوية

إن من نتائج إدراك الأم لأهمية التربية أن تسعى لزيادة خبرتها التربوية والارتقاء بها، ويمكن أن يتم ذلك من خلال مجالات عدة، منها:

أ- القراءة؛ فمن الضروري أن تعتني الأم بالقراءة في الكتب التربوية، وتفرغ جزءاً من وقتها لاقتنائها والقراءة فيها، وليس من اللائق أن يكون اعتناء الأم بكتب الطبخ أكثر من اعتنائها بكتب التربية.

وحين نلقي سؤالاً صريحاً على أنفسنا: ماحجم قراءاتنا التربوية؟ وما نسبتها لما نقرأ إن كنا نقرأ؟ فإن الإجابة عن هذه السؤال تبرز مدى أهمية التربية لدينا، ومدى ثقافتنا التربوية.

ب- استثمار اللقاءات العائلية؛ من خلال النقاش فيها عن أمور التربية، والاستفادة من آراء الأمهات الأخريات وتجاربهن في

التربية، أما الحديث الذي يدور كثيراً في مجالسنا في انتقاد الأطفال، وأنهم كثيرو العبث ويجلبون العناء لأهلهم، وتبادل الهموم في ذلك فإنه حديث غير مفيد، بل هو مخادعة لأنفسنا وإشعار لها بأن المشكلة ليست لدينا وإنما هي لدى أولادنا.

لم لانكون صرحاء مع أنفسنا ونتحدث عن أخطائنا نحن؟ وإذا كان هذا واقع أولادنا فهو نتاج تربيتنا نحن، ولم يتول تربيتهم غيرنا، وفشلنا في تقويمهم فشل لنا وليس فشلاً لهم.

ج- الاستفادة من التجارب، إن من أهم مايزيد الخبرة التربوية الاستفادة من التجارب والأخطاء التي تمر بالشخص، فالأخطاء التي وقعتِ فهيا مع الطفل الأول تتجنبينها مع الطفل الثاني، والأخطاء التي وقعتِ فيها مع الطفل الثاني تتجنبينها مع الطفل الثالث، وهكذا تشعرين أنك ما دمت تتعاملين مع الأطفال فأنت في رقي وتطور.

رابعاً: الاعتناء بتلبية حاجات الطفل

للطفل حاجات واسعة يمكن نشير إلى بعضها في هذا المقام، ومنها:

١- الحاجة إلى الاهتمام المباشر:

يحتاج الطفل إلى أن يكون محل اهتمام الآخرين وخاصة والديه، وهي حاجة تنشأ معه من الصغر، فهو يبتسم ويضحك ليلفت انتباههم، وينتظر منهم التجاوب معه في ذلك.

ومن صور الاهتمام المباشر بحاجات الطفل الاهتمام بطعامه وشرابه، وتلافي إظهار الانزعاج والقلق -فضلاً عن السب والاتهام

بسوء الأدب والإزعاج- حين يوقظ أمه لتعطيه طعامه وشرابه، ومما يعين الأم على ذلك تعويده على نظام معين، وتهيئة طعام للابن -وبخاصة الإفطار- قبل نومها.

ومن أسوأ صور تجاهل حاجة الطفل إلى الطعام والشراب ماتفعله بعض النساء حال صيامها من النوم والإغلاق على نفسها، ونهر أطفالها حين يطلبون منها الطعام أو الشراب.

ومن صور الاهتمام به من أيضاً حسن الاستماع له، فهو يحكي قصة، أو يطرح أسئلة فيحتاج لأن ينصت له والداه، ويمكن أن توجه له أسئلة تدل على تفاعل والديه معه واستماعهم له، ومن الوسائل المفيدة في ذلك أن تسعى الأم إلى أن تعبر عن الفكرة التي صاغها هو بلغته الضعيفة بلغة أقوى، فهذا مع إشعاره له بالاهتمام يجعله يكتسب عادات لغوية ويُقوِّى لغته.

ومن صور الاهتمام التخلص من أثر المشاعر الشخصية، فالأب أو الأم الذي يعود من عمله مرهقاً، أو قد أزعجته مشكلة من مشكلات العمل، ينتظر منهم أولادهم تفاعلاً وحيوية، وينتظرونهم بفارغ الصبر، فينبغي للوالدين الحرص على عدم تأثير المشاعر والمشكلات الخاصة على اهتمامهم بأولادهم.

٢- الحاجة إلى الثقة:

يحتاج الطفل إلى الشعور بثقته بنفسه وأن الآخرين يثقون فيه، ويبدو ذلك من خلال تأكيده أنه أكبر من فلان أو أقوى من فلان.

إننا بحاجة لأن نغرس لدى أطفالنا ثقتهم بأنفسهم،وأنهم قادرون على تحقيق أمور كثيرة، ويمكن أن يتم ذلك من خلال تكليفهم بأعمال يسيرة يستطيعون إنجازها، وتعويدهم على ذلك.

ويحتاجون إلى أن يشعرون بأننا نثق بهم، ومما يعين على ذلك تجنب السخرية وتجنب النقد اللاذع لهم حين يقعون في الخطأ، ومن خلال حسن التعامل مع مواقف الفشل التي تمر بهم ومحاولة استثمارها لغرس الثقة بالنجاح لديهم بدلاً من أسلوب التثبيط أو مايسيمه العامة (التحطيم).

٣ - الحاجة إلى الاستطلاع:

يحب الطفل الاستطلاع والتعرف على الأشياء، ولهذا فهو يعمد إلى كسر اللعبة ليعرف مابداخلها، ويكثر السؤال عن المواقف التي تمر به، بصورة قد تؤدي بوالديه إلى التضايق من ذلك.

ومن المهم أن تتفهم الأم خلفية هذه التصرفات من طفلها فتكف عن انتهاره أو زجره، فضلاً عن عقوبته.

كما أنه من المهم أن تستثمر هذه الحاجة في تنمية التفكير لدى الطفل، فحين يسأل الطفل عن لوحة السيارة، فبدلاً من الإجابة المباشرة التي قد لا يفهمها يمكن أن يسأله والده، لو أن صاحب سيارة صدم إنساناً وهرب فكيف تتعرف الشرطة على سيارته؟ الولد: من رقم السيارة، الأب: إذا هذا يعني أنه لابد من أن يكون لكل سيارة رقم يختلف عن بقية السيارات، والآن حاول أن تجد سيارتين يحملان رقماً واحداً، وبعد أن يقوم الولد بملاحظة عدة سيارات سيقول لوالده إن ما تقوله صحيح.

٤ - الحاجة إلى اللعب:

الحاجة إلى اللعب حاجة مهمة لدى الطفل لا يمكن أن يستغني عنها، بل الغالب أن الطفل قليل اللعب يعاني من مشكلات أو سوء توافق.

وعلى الأم في تعامله مع هذه الحاجة أن تراعي الآتي:

- إعطاء الابن الوقت الكافي للعب وعدم إظهار الانزعاج والتضايق من لعبه.

- استثمار هذه الحاجة في تعليمه الانضباط والأدب، من خلال التعامل مع لعب الآخرين وأدواتهم، وتجنب إزعاج الناس وبخاصة الضيوف، وتجنب اللعب في بعض الأماكن كالمسجد أو مكان استقبال الضيوف.

- استثمار اللعب في التعليم، من خلال الحرص على اقتناء الألعاب التي تنمي تفكيره وتعلمه أشياء جديدة.

- الحذر من التركيز على ما يكون دور الطفل فيها سلبيًّا، أو يقلل من حركته، كمشاهدة الفيديو أو ألعاب الحاسب الآلي، فلا بد من أن يصرف جزءاً من وقته في ألعاب حركية، كلعب الكرة أو اللعب بالدراجة أو الجري ونحو ذلك.

٥ - الحاجة إلى العدل:

يحتاج الناس جميعاً إلى العدل، وتبدو هذه الحاجة لدى الأطفال بشكل أكبر من غيرهم، ولذا أمر النبي ﷺ بالعدل بين الأولاد، وشدد في ذلك، عن حصين عن عامر قال: سمعت النعمان ابن بشير رضي الله عنهما وهو على المنبر يقول: أعطاني أبي عطية، فقالت عمرة بنت رواحة: لا أرضى حتى تشهد رسول الله ﷺ، فأتى رسول الله ﷺ، فقال: إني أعطيت ابني من عمرة بنت رواحة عطية فأمرتني أن أشهدك يا رسول الله، قال: «**أعطيت سائر ولدك مثل هذا؟**» قال: لا، قال: «**فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم**» قال فرجع فرد عطيته. متفق عليه.

ومهما كانت المبررات لدى الأم في تفضيل أحد أولادها على الآخر، فإن ذلك لا يقنع الطفل، ولابد من الاعتناء بضبط المشاعر الخاصة تجاه أحد الأطفال حتى لا تطغى، فتترك أثرها عليه وعلى سائر إخوانه وأخواته.

ومن المشكلات التي تنشأ عن ذلك مشكلة الطفل الجديد، فكثير من الأمهات تعاني منها (ولعله أن يكون لها حديث مستقل لأهميتها).

أكتفي بهذا الحديث عن هذه الحاجات وإلا فهي حاجات كثيرة، والواجب على الوالدين تجاه هذه الحاجات أمران:

الأول: الحرص على إشباع هذه الحاجات والاعتناء بها، الثاني: استثمار هذه الحاجات في تعليم الابن السلوكيات والآداب التي يحتاج إليها.

خامسا: الحرص على التوافق بين الوالدين

التربية لا يمكن أن تتم من طرف واحد، والأب والأم كل منهما يكمل مهمة الآخر ودوره، ومما ينبغي مراعاته في هذا الإطار:

- الحرص على حسن العلاقة بين الزوجين، فالحالة النفسية والاستقرار لها أثرها على الأطفال كما سبق، فالزوجة التي لاتشعر بالارتياح مع زوجها لابد أن يظهر أثر ذلك على رعايتها لأطفالها واهتمامها بهم.

- التفاهم بين الوالدين على الأساليب التربوية والاتفاق عليها قدر الإمكان.

- أن يسعى كل من الوالدين إلى غرس ثقة الأطفال بالآخر، فيتجنب الأب انتقاد الأم أو عتابها أمام أولادها فضلاً عن السخرية بها أو تأنيبها، كما أن الأم ينبغي أن تحرص على غرس ثقة أطفالها بوالدهم، وإشعارهم بأنه يسعى لمصلحتهم -ولو اختلفت معه- وأنه إن انشغل عنهم فهو مشغول بأمور مهمة تنفع المسلمين أجمع، أو تنفع هؤلاء الأولاد.

- ومما ينبغي مراعاته هنا الحرص على تجنب أثر اختلاف الموقف أو وجهة النظر بين الوالدين، وأن نسعى إلى ألا يظهر ذلك على أولادنا فهم أعز مانملك، وبإمكاننا أن نختلف ونتناقش في أمورنا لوحدنا.

سادساً: التعامل مع أخطاء الأطفال

كثير من أخطائنا التربوية مع أطفالنا هي في التعامل مع الأخطاء التي تصدر منهم، ومن الأمور المهمة في التعامل مع أخطاء الأطفال:

١- عدم المثالية:

كثيراً مانكون مثاليين مع أطفالنا، وكثيراً ما نطالبهم بما لا يطيقون، ومن ثم نلومهم على ما نعده أخطاء وليست كذلك.

الطفل في بداية عمره لايملك التوازن الحركي لذا فقد يحمل الكوب فيسقط منه وينكسر، فبدلاً من عتابه وتأنيبه لو قالت أمه: الحمد الله أنه لم يصيبك أذى، أنا أعرف أنك لم تتعمد لكنه سقط منك عن غير قصد، والخطأ حين تتعمد إتلافه، والآن قم بإزالة أثر الزجاج حتى لا يصيب أحداً.

إن هذا الأسلوب يحدد له الخطأ من الصواب، ويعوده على تحمل مسؤولية عمله، ويشعره بالاهتمام والتقدير، والعجيب أن نكسر قلوب أطفالنا ونحطمهم لأجل تحطيمهم لإناء لا تتجاوز قيمته ريالين، فأيهما أثمن لدينا الأطفال أم الأواني؟

٢- التوازن في العقوبة:

قد تضطر الأم لعقوبة طفلها، والعقوبة حين تكون في موضعها مطلب تربوي، لكن بعض الأمهات حين تعاقب طفلها فإنها تعاقبه وهي في حالة غضب شديد، فتتحول العقوبة من تأديب وتربية إلى انتقام، والواقع أن كثيراً من حالات ضربنا لأطفالنا تشعرهم بذلك.

لا تسأل عن تلك المشاعر التي سيحملها هذا الطفل تجاه الآخرين حتى حين يكون شيخاً فستبقى هذه المشاعر عنده ويصعب أن نقتلعها فيما بعد والسبب هو عدم التوازن في العقوبة.

٣- تجنب البذاءة:

حين تغضب بعض الأمهات أو بعض الآباء فيعاتبون أطفالهم فإنهم يوجهون إليهم ألفاظاً بذيئة، أو يذمونهم بعبارات وقحة، وهذا له أثره في تعويدهم على المنطق السيء.

والعاقل لا يخرجه غضبه عن أدبه في منطقه وتعامله مع الناس، فضلاً عن أولاده.

٤- تجنب الإهانة:

من الأمور المهمة في علاج أخطاء الأطفال أن نتجنب إهانتهم أو وصفهم بالفشل والطفولة والفوضوية والغباء -إلخ. فهذا له أثره البالغ على فقدانهم للثقة بأنفسهم، وعلى تعويدهم سوء الأدب والمنطق.

٥- تجنب إحراجه أمام الآخرين:

إذا كنا لانرضى أن ينتقدنا أحد أمام الناس فأطفالنا كذلك، فحين يقع الطفل في خطأ أمام الضيوف فليس من المناسب أن تقوم أمه أو يقوم والده بتأنيبه أو إحراجه أمامهم أو أمام الأطفال الآخرين.

سابعاً: وسائل مقترحة لبناء السلوك وتقويمه

يعتقد كثير من الآباء والأمهات أن غرس السلوك إنما يتم من خلال الأمر والنهي، ومن خلال العقوبة والتأديب، وهذه لا تمثل إلا جزءاً يسيراً من وسائل تعليم السلوك، وفي هذه العجالة أشير إلى بعض الوسائل التي يمكن أن تفيد الأم في غرس السلوك الحسن، أو تعديل السلوك السيئ، وهي على سبيل المثال لا الحصر: يعتقد كثير من الآباء والأمهات أن غرس السلوك إنما يتم من خلال الأمر والنهي، ومن خلال العقوبة والتأديب، وهذه لا تمثل إلا جزءاً يسيراً من وسائل تعليم السلوك، وفي هذه العجالة أشير إلى بعض الوسائل التي يمكن أن تفيد الأم في غرس السلوك الحسن، أو تعديل السلوك السيئ، وهي على سبيل المثال لا الحصر:

١- التجاهل:

يعمد الطفل أحياناً إلى أساليب غير مرغوبة لتحقيق مطالبه، كالصراخ والبكاء وإحراج الأم أمام الضيوف وغير ذلك، والأسلوب الأمثل في ذلك ليس هو الغضب والقسوة على الطفل، إنما تجاهل هذا السلوك وعدم الاستجابة للطفل، وتعويده على أن يستخدم الأساليب المناسبة والهادئة في التعبير عن مطالبه، وأسلوب التجاهل يمكن أن يخفي كثيراً من السلوكيات الضارة عند الطفل أو على الأقل يخفف من حدتها.

٢- القدوة:

لست بحاجة للحديث عن أهمية القدوة وأثرها في التربية، فالجميع يدرك ذلك، إنني حين أطالب الطفل بترتيب غرفته ويجد غرفتي غير مرتبة، وحين أطالبه أن لا يتفوه بكلمات بذيئة ويجدني عندما أغضب أتفوه بكلمات بذيئة، وحين تأمره الأم ألا يكذب، ثم تأمره بالكذب على والده حينئذ سنمحو بأفعالنا مانبنيه بأقوالنا.

٣- المكافأة:

المكافأة لها أثر في تعزيز السلوك الإيجابي لدى الطفل، وهي ليست بالضرورة قاصرة على المكافأة المادية فقد تكون بالثناء والتشجيع وإظهار الإعجاب، ومن وسائل المكافأة أن تعده بأن تطلب من والده اصطحابه معه في السيارة، أو غير ذلك مما يحبه الطفل ويميل إليه.

ومما ينبغي مراعاته أن يكون استخدام المكافأة باعتدال حتى لا تصبح ثمناً للسلوك.

٤- الإقناع والحوار:

من الأمور المهمة في بناء شخصية الأطفال أن نعودهم على الإقناع والحوار، فنستمع لهم وننصت، ونعرض آراءنا وأوامرنا بطريقة مقنعة ومبررة، فهذا له أثره في تقبلهم واقتناعهم، وله أثره في نمو شخصيتهم وقدراتهم.

وهذا أيضاً يحتاج لاعتدال، فلابد أن يعتاد الأطفال على الطاعة، وألا يكون الاقتناع شرطاً في امتثال الأمر.

٥- وضع الأنظمة الواضحة:

من المهم أن تضع الأم أنظمة للأطفال يعرفونها ويقومون بها،

فتعودهم على ترتيب الغرفة بعد استيقاظهم، وعلى تجنب إزعاج الآخرين-إلخ، وحتى يؤتي هذا الأسلوب ثمرته لابد أن يتناسب مع مستوى الأطفال، فيعطون أنظمة واضحة يستوعبونها ويستطيعون تطبيقها والالتزام بها.

٦- التعويد على حل الخلافات بالطرق الودية:

مما يزعج الوالدين كثرة الخلافات والمشاكسات بين الأطفال، ويزيد المشكلة كثرة تدخل الوالدين، ويجب أن تعلم الأم أنه لا يمكن أن تصل إلا قدر تزول معه هذه المشكلة تماماً، إنما تسعى إلى تخفيف آثارها قدر الإمكان، ومن ذلك:

تعويدهم على حل الخلافات بينهم بالطرق الودية، ووضع الأنظمة والحوافز التي تعينهم على ذلك، وعدم تدخل الأم في الخلافات اليسيرة، فذلك يعود الطفل على ضعف الشخصية وكثرة الشكوى واللجوء للآخرين.

٧- تغيير البيئة:

ولذلك وسائل عدة منها:

أولا: إغناء البيئة: وذلك بأن يهيأ للطفل مايكون بديلاً عن انشغاله بما لايرغب فيه، فبدلاً من أن يكتب على الكتب يمكن أن يعطى مجلة أو دفتراً يكتب فيه مايشاء، وبدلاً من العبث بالأواني يمكن أن يعطى لعباً على شكل الأواني ليعبث بها.

ثانياً: حصر البيئة: وذلك بأن تكون له أشياء خاصة، كأكواب خاصة للأطفال يشربون بها، وغرفة خاصة لألعابهم، ومكان خاص لا يأتيه إلا هم؛ حينئذ يشعر أنه غير محتاج إلى أن يعتدي على ممتلكات الآخرين.

ومن الخطأ الاعتماد على قفل باب مجالس الضيوف وغيرها، فهذا يعوده على الشغف بها والعبث بها، لأن الممنوع مرغوب.

لكن أحياناً تغفل الأمهات مثلاً المجلس أو المكتبة،ترفع كل شيء عنه صحيح هذا يمنعه وحين يكون هناك فرصة للدخول يبادر بالعبث لأن الشيء الممنوع مرغوب.

ثالثاً: تهيئة الطفل للتغيرات اللاحقة: الطفل تأتيه تغييرات في حياته لابد أن يهيأ لها، ومن ذلك أنه يستقل بعد فترة فينام بعيداً عن والديه في غرفة مستقلة، أو مع من يكبره من إخوته، فمن الصعوبة أن يفاجأ بذلك، فالأولى بالأم أن تقول له: إنك كبرت الآن وتحتاج إلا أن تنام في غرفتك أو مع إخوانك الكبار.

وهكذا البنت حين يراد منها أن تشارك في أعمال المنزل.

٨- التعويد:

الأخلاق والسلوكيات تكتسب بالتعويد أكثر مما تكتسب بالأمر والنهي، فلا بد من الاعتناء بتعويد الطفل عليها، ومراعاة الصبر وطول النفس والتدرج في ذلك.

***

الأم المثالية في الإسلام

عن أبي هريرة رضي الله عنه، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**خيرُ نساءٍ ركِبْنَ الإبلَ صالحُ نساءِ قريشٍ؛ أحناه على ولدٍ في صغره، وأرعاه على زوجٍ في ذات يده**».

تلك هي إحدى القواعدِ النبويَّة التي تُميز النساء، وَضَعَها رسولُ الله صلوات الله وسلامه عليه واضحةَ الدلالة؛ لأنها بانيةُ الحياة، وداعمةُ مسيرتها، تقدم مِن غير أن تطلب العِوَض، وتُعطِي مِن غير أن تسأل الثمن، وإن كان في الوجودِ إيثارٌ فهو عند الأم، وإن كان في الوجود إخلاصٌ فهو إخلاص الأم، لكن الأمرَ لا يتعلَّق بأمومة وبنوَّة فحَسْبُ، لكنه يتعلَّق بنتائج تلك الأمومة، وَجُودِ عطائها، ومِن هنا يأتي التفاوت بين الأمهات:

- أمٌّ أعطَتْ وليدَها مِن أمومتها، لكن كان عطاء القلب والعاطفة وحدَها.

- وأُمٌّ أعطَتِ الأمومةَ مع العقل والفكر والعلم.

- وثالثة حسِبت الأمومةَ عقلًا وعلمًا، فلم تُعطِ إلا العلم الجافَّ الجامد المتحجِّر.

- ورابعة غرَّتْها الحياةُ بزخرفِها، فنسِيَت أنها أمٌّ، وأنها تملِك عاطفةً وقلبًا، وانطبَق عليها قول الشاعر:

إنَّ اليتيمَ هو الذي تلقى لهُ
أمًّا تخلَّتْ أو أبًا مَشغولا

وقد لا تكون هناك أمٌّ تَعتني بأبنائِها، وأمٌّ لا تعتني، لكن هناك أمٌّ عرَفتْ معنى الحياة، وتركيبة الحياة، وحقيقة الحياة، ثم قامتْ تُربِّي أبناءها وتَعُدُّهم لمواجهة الحياة بما يُناسب هذه الحياة؛ في مجال الدين والعلم والعمل، والتفوق في الحياة والتميُّز، والثبات والمرونة، فهذه أمٌّ عرَفتْ كيف تُمارِس الأمومةَ أسمى ممارسةٍ.

- وقد قيل: «الرجال مِن صنع المرأة، فإذا أردتُم رجالًا عِظامًا أفاضل، فعليكم بالمرأة، علِّموها ما عظمة النفس، وما الفضيلة».

- وقيل: «الرجال مِن صنعة أمهاتهم».

واستطاعتْ أن تُورث أبناءها معاني السموِّ والعظمة؛ كما قيل: «عظماء الرجال يرثون عظمتهم مِن أمهاتهم».

المرأةُ أساس البناء، وحارسة الغُرَّة الداخلية، فلو أننا اعتنَينا بتربيةِ الفتاة كما نعتني بتربية الشباب - بل الأصل أن نعتني أكثرَ بها - لَما وصل حالُنا إلى ما وصَلْنا إليه؛ إذًا قد تكون الأمُّ هي مَن تقف خلْفَ الرجلِ العظيم، خلف ابنِها، تدفعه وتحثه، وتؤنِّبه إذا أخطأ، وتُشجِّعه إن أحسن، لا تُبالي بالتعب مهما يكون، ما دامت في راحةِ أبنائها، فهي المرآة العاكسة للأخلاق، والعمل المُثمِر والمنصف؛ ففي صدرِها وحدها لبن الحياة، بما آتاها الله من قوة العقل والأخلاق والعاطفة.

إن كرمَ المرأة بأمومتها، ورعايتها لأبنائها، ومِن هنا صدق عليها قول حافظ إبراهيم:

الأُمُّ مـدرسـةٌ إذا أعـدَدْتَـهـا
أعـــدَدْتَ شَعبًا طـيِّـبَ الأعـــراقِ

- وواجباتُ المرأة في بيتها كثيرةٌ وعديدة؛ فبعدَ أن تكونَ المرأة زوجةً وربَّةَ بيتٍ مسؤولةً عن المحافظةِ على كِيانه، ومسؤولةً عن إسعادِ زوجها، فهي مسؤولةٌ عن الأطفالِ وتربيتهم تربيةً صحيحةً، والاعتناء بصحتهم، وتقويم خُلُقِهم، وإشعارهم بحنانها كقاعدةٍ لانطلاق الأخلاق الفاضلة لديهم، وقد يتهاوَن البعض في الحنان والعطف، لكن الحديثَ واضحُ الدلالة على أهميتها؛ حيث قال ﷺ: «**أحناه على ولد في صغره**».

إذًا فمَن الأم التي نريد؟ وما نريد من الأم؟

أُذكِّر القارئ والقارئة الكريمينِ قبل البَدْء في بيان وصف الأم التي نريد - بالربيع بن خُثَيم، تركه أبوه طفلًا صغيرًا، وترك مع أمِّه شيئًا من المال، وقال لها: احفظِيه حتى آتي معي مال آخر، فنشتري به بيتًا كبيرًا، ونتاجر ما بقي مِن حياتنا، فلما كبِر الابنُ رأتِ الأمُّ أن الأَوْلى صرفُ هذا المال في تعليم الطفل وتأديبه، فراحَتْ تُنفِقه في ذلك حتى أصبح ابنُها علمًا عالمًا وإمامًا يأتيه الناس مِن كل مكان، فلما قدِم الأب وعرَف ذلك، قالت له زوجته: أكان الأفضل أن أدَّخِر المال الذي تركته حتى تأتي؟ أم ما رأيته من ابنك؟ فقال: لا والله ما رأيته من ابني كان أحب إليَّ، فقالت: فقد صرفت المال في تعليم ابنك.

إنه ربيعةُ الرأي، التابعي الإمام، العالم الذي كانت أمُّه خلفه ترعاه وتُؤدبه وتُوجِّهه إلى العلياء والعلم والجد في غياب الأب، دون تأفُّف أو تذمُّر أو شكوى مِن غياب أبيه الطويل.

إنَّ التربية بمعناها الواسع تشمَلُ الجسم والنفس والروح، وليست مجردَ الطعام والشراب واللباس وتلبية الطلبات.

- نريدُ الأمَّ التي تُربِّي أولادَها تربيةً رُوحية، فتُبصِّرهم بأمور دينهم مِن عبادات وطاعات، وتشجيع لحِفْظ كتاب الله تعالى، على أن يكون تعليمًا مبنيًّا على محبةٍ واقتناع.

- نريد الأُمَّ التي تغمُرُ أبناءها بالحبِّ والرحمة والحنان والشفقة؛ لأن هذه هي قاعدةُ انطلاق الفضيلة لديهم، وعليها يكونُ تعاملهم مع الحياة فيما بعدُ، ونحن نعلمُ أن الإسلام قائمٌ على المحبة بين العبد ومولاه، والمؤمن وبنيه، والمؤمن مع أخيه.

- نريد الأم التي تُعامِل أولادها بمنطقيَّة وحكمة، مع إيمانٍ واتصالٍ بالله تعالى، فيَرِثُون ذلك منها ويجعَلونه في شخصياتهم.

- نريد الأم التي تضعُ نُصْبَ عينَيْها تهيئةَ أبنائها لنصرة الإسلام ورفعة رايته، وتكون خلفهم مُشجِّعة تشدُّ من أزرِهم وتُحفِّز هممَهم؛ كالخنساء التي رافقَتْ أبناءها في خيمة القتال يوم القادسية، وهي تشجعهم وترفع معنوياتهم.

- نريد الأم التي تُربِّي أولادَها التربيةَ النفسيَّة المتكاملة، فتُعلِّمهم ضبطَ سلوكهم، وضبط انفعالاتهم العامَّة، وانفعالاتهم مع والديهم وإخوتهم، ومَن هم أكبر سنًّا لتحقيق الأمن الانفعالي.

- نريد الأمَّ التي تشجِّع أبناءها ليتعوَّدوا الثقة بالنفس، وتُشعِرهم بالأمان والاطمئنان ليتعلَّموا الثقةَ بالآخرين، وتشعرهم بالصداقة لهم ليتعلَّموا أن يكتشفوا المحبة، فإذا عاشوا في جوٍّ مِن الرضا والقبول عرَفوا شخصيتهم.

- نريد الأمَّ التي تعتني بأوقات فراغ أطفالها، وتُنمِّي فيهم ما يوسع خيالهم ومداركهم، بقصص الأنبياء وقصص القرآن والسُّنة والسيرة النبوية، وغزوات الرسول عليه الصلاة والسلام وسيرة أصحابه مِن بعده، والتابعين والفاتحين على امتدادِ تاريخ الإسلام العظيم، وبذلك تَعُدُّهم إعدادًا متكاملًا، وتُنبِتُهم نبتًا طيبًا ليُؤدُّوا دورَهم في الحياةِ، فطفل اليوم سيُصبِح رجلًا وأبًا، وطفلةُ اليوم ستُصبح امرأةً وأمًّا.

- نريد الأم التي تُؤمِّنُ لأطفالها طفولةً خالية من الخوف والفزع، والاشمئزاز والتذمُّر، والجدل والمشاحنة؛ ليعيشوا بسلامٍ وهم شُبَّان وكهول وشيوخ؛ لأن البيت مدرسةُ الأخلاق، وأي مؤسسة تربوية لا تُقوِّم الاعوجاج ما لم يبدَأ التقويمُ مِن الأسرة: «**كلُّ مولودٍ يُولَد على الفطرة؛ فأبواه يُهوِّدانِه، أو يُنصِّرانِه، أو يُمجِّسانِه**»[١].

- نريد الأمَّ التي تستطيعُ أن تقوم على أبنائها قيامًا كاملًا؛ بحيث تخرجهم للمجتمع حاملين قِيَمَهم الإسلامية، من غير أن يفقدوا رُوح عصرهم واستعدادَهم له، ليكونوا عنصرًا فعَّالًا في المجتمع من أجل رُقيِّه وتقدُّمِه.

- نريد الأمَّ التي تُربِّي بناتِها على الحياء، لا على الضعف أو الذل أو الخنوع، تُربِّيهن على أصولِ التربية وأساسياتها، وعلى حقوق الزوج وواجباتها نحوَه - فهي غدًا زوجةٌ - وعلى حسن التعامل والأدب والاحترام - فهي غدًا داعيةٌ تتعامل مع الآخرين - وعلى الحجاب والحياء - فهي غدًا امرأةٌ فاضلة.

- نريد الأم التي تُعلِّم أبناءها تعليمَ محاكاة وتطبيق مع التوجيه، لا تعليم تلقين وحفظ مجرد.

- نريد التي تُخرِج أعلامًا تضاء الدنيا بهم؛ كأم الإمام ابن حنبل تقول له: اذهَبْ يا بني، أستودِعُك الله، فإنه لا تضيع عنده الودائع، وأم الإمام البخاري وأمهات الآلاف من العلماء والمجاهدين والأبطال، اللاتي نشَّأن أبناءَهن على العزة والرفعة والسمو، وغَرَسْنَ في نفوسهم حبَّ المعالي؛ مِن علم، وجهاد، ودعوة.

- فإذا كانت الأمُّ مُوظَّفةً فنُريدها الأمَّ التي لا يشغَلُها عملُها خارج المنزل عن تربية أولادها ومتابعتهم وتوجيههم، الأم التي لا تعتمد على الخدم في رعاية أولادها وتوجيههم ومتابعتهم.

- إنها الأم التي تجذِبُ أبناءها إليها وإلى بيتها، وتشغَلُهم بما ينفعهم ويُنمي شخصياتهم، في زمنٍ أصبح أصدقاء السوء يملؤون كل جانب، وفتن الدنيا تنتشر في كل ناحية.

فحضنُ الأمِّ مدرسةٌ تسامَتْ
بتربيةِ البنين أو البناتِ
وأخلاقُ الوليدِ تُقاسُ حُسنًا
بأخلاقِ النساءِ الوالداتِ

فإذا كانتِ الأمُّ كهذه التي نُريدها ويريدها المجتمع؛ حصَلنا على جيلٍ واعٍ، سليم خالٍ من العُقَد والأمراض النفسية، وحصلنا على مجتمع ينعَمُ بالسعادة والأمن والاستقرار والراحة.

❋ ❋ ❋

صفات الأم الصديقة

الأم المثالية، هي الأم التي تحاول أن تستمع إلى أبنائها بصدر رحب، دون التدخّل الزائد في شؤونهم، وتشعرهم بالمرح، مع مراعاة عدم تعدي الخط الأحمر في خصوصيات بعضهم البعض..وهذه هي أهم صفات الأم المثالية الصدوقة الصديقة..

الديمقراطية: توفر لأبنائها الحرية التي تمكّنهم من اختيار اهتماماتهم، بالإضافة إلى تشجيعها لهم في الأمور المناسبة، لتتمكّن من إنشاء أبناء ذوي شخصية قويّة قادرة على اتخاذ القرارات.

المتواضعة: لا تظنّ نفسها كاملة، وتعود إلى استشارة أبنائها قبل عمل أيّ أمر يخصّهم.

العطوفة: لا تتغيّر مشاعرها تجاه أبنائها مهما أساؤوا لها، ولا تشعرهم بالحزن.

المنصتة: تستمع لأبنائها مهما كانت أفكارهم، والتي توجه بعض الارشادات لهم في حال كانت آراؤهم خاطئة، ولكن ليس بطريقة متسلّطة. المتمسكة: لا تترك أبنائها وحدهم مهما كانت الظروف المحيطة بها. المتفهّمة: تتعامل مع أبنائها كلاً حسب شخصيته، وتتفهم اختلاف آرائهم، وأسلوب سير حياة كلّ منهم.

المساعدة: تساعد أبناءها في بناء طريقهم للمستقبل، وبالتالي ترجعهم عن أي طريق قد يحتوي على صعوبات.

المؤمنة: تعلم أبناءها على التمسك بالقيم الروحية والأخلاقية،

وتشجّعهم على السير على طريق الحق، والتي تؤمن بقدرتها على تأمين حياة لأبنائها أفضل من تلك التي عايشتها.

المقارنة: تقارن نفسها مع الأمهات الآخرين، وتحاول كشف أخطاءها، وبالتالي تحسين نفسها وقدراتها كأمّ.

الطموحة: تشعر بشكلٍ دائم أنّ هناك شيء ما عليها فعله، إذ إنّ الأم الطموحة قادرة على إنجاب أبناء طموحين.

المنظّمة: تنظم الأوقات الخاصّة بها، والخاصّة بأبنائها، حيث تتمكّن من الاهتمام بنفسها، وتوفير بعض الوقت الذي يُساعدها على الاستمتاع. المدركة: تدرك حاجة أبنائها الضرورية، كالملبس، والمأكل، والكتب المدرسية، وبعض الألعاب، بالإضافة إلى الكلمات والتصرّفات المعنوية. المتطوّعة: تقوم ببعض الأعمال التطوعية من أجل أبنائها، وليس من أجل إرضاء المجتمع والناس.

الخلوقة: لا تفسد أبناءها بالتدليل المفرط، وتعلّمهم احترام، وإكرام الغير، واكتساب العلاقات الجيّدة.

الصبورة: تصبر على تصرفات أبنائها، وطلباتهم التي تكون زائدة في بعض الأحيان.

المجتهدة: تقوم بإنجاز كلّ أعمالها المنزلية دون تأجيل، لتعلم أبنائها أهمية العمل، وإنجازه بالوقت المخصّص له.

❋ ❋ ❋

علاقة الأم ببناتها المراهقة

تمر الفتاة المراهقة بتغيرات جسمية ونفسية واجتماعية غريبة عليها وعلى الوسط الذي تعيش فيه، فبعد أن كانت الطفلة الهادئة المطيعة إذا بها الفتاة المتحررة العنيدة المتصلبة، التي تريد أن تغير الدنيا في ساعة،و إذا بها تصطدم بعادات أهلها وتقاليدهم، فنراها تتمرد وتحتج وتعارض الكبار بما في ذلك الأم والأب، حتى أن والداها يستغربان ما حل ببناتهم، إذهم ينظرون إليها البنت المطيعة المهذبة فإذا بها تنقلب عليهم ومن هنا تبدأ العواصف والمشادات الكلامية بين الأم وابنتها.

فالفتاة تنظر إلى نفسها على أنها أصبحت امرأة ولم تعد طفلة مطواعة وعجينة في أيدي الكبار يسيرونها كيفما شاءوا وأينما شاءوا، إن هذه التغيرات التي حدثت في جسم الفتاة مثل: كبر الثديين واتساع الحوض نعومة الصوت، نزول الطمث، هذه التغيرات الجسمية التي ظهرت على جسمها وفي نفسيتها أعطتها المؤشر الحقيقي أنها أصبحت امرأة كاملة، فلم ينظر إليها أهلهاعلى أنها لازالت طفلة؟ مع أن شكلها شكل امرأة ولكن لاتزال تصرفاتها تصرفات طفلة.

النقطة المهمة في هذا الموضوع هي موقف والدتها منها، إن موقف بعض الأمهات مع الأسف لايتغير عما كان عليه في السابق فلاتزال الأم تنظر إلى ابنتها على أنها طفلة والفتاة تحتج وتناهض هذا الموقف، المشكلة أن كثيرا من الأمهات لايدركن التغيرات التي تحل بالفتاة والفترة الانتقالية من الطفولة إلى المراهقة (مقاربة البلوغ).

وكل فترة من حياة الإنسان لها خصائصها وتعاملها الخاص بها ومشكلة معظم الآباء أنهم لايدركون ذلك، أحيانا تكون علاقة الأم ببناتها علاقة مدمرة، تبعا للفلسفة التي تتبعها الأم في تربية ابنتها، فإذا كانت الأم ربيت على الخنوع والتسلط والنقد الشديد على كل صغيرة وكبيرة فإنها سوف تسلط الضوء على ابنتها، مما يجعل البنت تثور وتعترض على هذا الأسلوب القمعي الذي اتخذ أسلوبا لتربيتها، لكن المشكلة أن تجد صعوبة كبيرة في إقناع والدتها أن جيلها يختلف عن جيل ابنتها وأن الأم لاتستطيع أن تصب ابنتها في قالب أفكارها، فإذا كانت البنت قديما تستجيب لتوجيهات والدتها ونصائحها فإنها اليوم متمردة ولا تملك والدتها القدرة على قيادة ابنتها كما تشاء لاختلاف الزمان والمكان والمؤثرات السمعية والمرئية،وتغير المجتمع.

المشكلة الحقيقية عندما تحاول الأم أن تقسو على ابنتها ظنا منها أن تلك القسوة في مصلحتها ولكن البنت لاتدرك ذلك، فإذا بها تبتعد عن حياة أبنتها ولا تحتويها فإن البنت في ظل هذه الظروف تجد من يحتويها خارج المنزل صديقتها مثلا، هذه الصديقة إذا كانت سيئة فإنها سوف تجر البنت إلى مزالق الشر، أما إذا كانت صالحة وطيبة فإنه سوف تقودها إلى منابع الخير، الأم لها تأثير قوي على ابنتها أكثر من تأثيرها على الولد لماذا: لأن البنت من جنسها ومعها دائما وأبدا في المنزل، كما أن البنت تختلف عن الولد في أنها لاتستطيع أن تصبر على غضب والدتها، فهي تقع في صراع نفسي مقيت بين إرضاء والدتها وإرضاء رغباتها، فهي لم تنضج بعد النضج الكافي الذي يخولها أن تميز مابين الغث والسمين.

وقد تدمر الأم ابنتها من غير أن تشعر فتعامل ابنتها المراهقة كما كانت تعامل هي عندما كانت صغيرة، لذا يصح لنا أن نقول إن الأم والأب قد يكونا مصدر شقاء أبنائهما أو بناتهما، فإذا أردنا أن يكون أبناؤنا صالحين وبناتنا كذلك علينا أن نحافظ على أسرنا من التفكك والضياع فبمقدار تماسك الأسرة وترابطها بمقدار ما ينعم جميع أفراد الأسرة بالهدوء وراحة البال والسعادة، والمحور الأساسي في الأسرة الوالدان فبمقدار ما يكون بينهما من تفاهم ومحبة وألفة بمقدار ما تتماسك الأسرة ويكون هذا التماسك درعا متينا يحفظ جميع أفراد الأسرة من الضياع والانحراف.

والأم المثالية، هي التي تستطيع أن تساعد ابنتها في التغلب على ما يواجهها من صعوبات، بفضل حكمتها وبعد نظرها وحسن تعاملها مع ابنتها، الأم المثالية هي التي تدرك أن هناك فرقا بين حياتها الأولى وحياة ابنتها، الأم المثالية هي التي تكون قريبة من حياة ابنتها فلا تدعها تلجأ لغيرها، أما إذا كانت الأم مهزوزة الشخصية فإن ابنتها سوف تتطبع بطباعها وسوف يعاني منها زوج المستقبل الأمرين وما أكثر حالات الطلاق اليوم التي يكون السبب فيها تربية فاسدة من أم جاهلة، الأم الناضجة هي التي تمنح بناتها الحب والحنان والمشورة، ولاتجعل بينها وبين بناتها حائلا يحول دونها ودون أن تعبر لها ابنتها بكل ما يدور خلدها، ولا يتأتى ذلك إلا إذا كانت الأم تحترم مشاعر ابنتها وتقدرها، ولا يتأتى ذلك إلا إذا كانت الأم منسجمة تمام الانسجام مع زوجها تحبه وتقدره، وتضحي بالغالي والثمين من أجله، ستجد البنت أمامها صديقة مخلصة تبثها أحزانها والآمها ولا تبحث عن أحد سواها تفتح له قلبهاوتكشف له عن خباياها.

الأم المثالية هي التي تشجع ابنتها على الإبداع مثلا إذا صنعت البنت كعكة أو حلوى وقدمتها لأمها لابد أن تشجعها وتثني على ما صنعت مثل هذا شيء جميل، يمكنك أن تعملي أفضل منه، على العكس من الأم المحبطة التي إذا غسلت ابنتها الصحون، قالت لها ولماذا لم تغسلي الثلاجة أيضا.

الأم المثالية هي التي تقول لابنتها لوكنت في سنك كنت فعلت كذا ومن هنا تعيش البنت متحفزة تحاول أن تفعل الأفضل دائما.

الأم المثالية لاتقول لابنتها أنت كاملة ولكن زوجك ليس في مستوى كمالك إن هذه المقولة سوف تجعل البنت تغتر بنفسها، وسوف تبحث عن الشاب الذي يرضي غرورها (كلمة واحدة تدمر حياة فتاة صادرة من أعز الناس لقلبها، لكن هذه الأم قالتها من غير قصد فهي لاتدرك أبعادها.

الأم مدرسة إذا أعددتها..أعددت شعبا طيب الأعراق.. مم تعلمت البنت العصبية النرفزة، التسلط والعناد؟، تعلمت هذه الأمور من بيئتها الأولي التي كان المؤثر الرئيسي فيها الأم، فالبنت المسيطرة تعلمت حب السيطرة من بيئتها الأولى ولكنها في هذه المرة حاولت تطبيق هذه السمة على زوجها فمنيت بالفشل ونشأ الخلاف.

الأم غير المثالية، هي التي لاتشجع ابنتها على الإبداع، بل تكون معول هدم لجهود وأعمال ابنتها، فلا تكلفها بشيء ينفعها في مستقبل حياتها وإذا إذا حاولت البنت عمل شيء كأن تحاول أن تطبخ طبخة معينة، وعندما تنهيها و تحاول أن تأخذ رأي والدتها لكنها لاتجد منها التشجيع مما يفت في عضدها ويسبب لها الإحباط والإكتئاب، فيخلق

ذلك من البنت شخصية مهزوزة غير منتجة تعتمد على والدتها في كل صغيرة وكبيرة، هذه نوعية من الأمهات المتسلطات اللاتي يزرعن الشوك أما م بناتهن من غير أن يشعرن، وغالباما تنتهي الحياة الزوجية لأمثال هؤلاء البنات بالفشل لأن مثل هذه البنت التي نشأت على هذه النشأة الخاطئة سوف تصطدم بمسئولياتها الزوجية فتشعر أنها لاتستطيع القيام بها أوأن تؤدي دورها كزوجة مستقلة الرأي والفكر الذي غيبته تربية خاطئة من أم متسلطة، قد تكون قد تربت على هذا النمط غير السوي فكانت ابنتها ضحية لتربيتها الشاذة.

الفتاة الاعتمادية المدللة التي لا تمس شيئا في منزل أسرتها، إعتمادا على والدتها وعلى الخادمة، نراها لاتسمع كلام من يقدم لها النصيحة من الأقارب، لأنها ترى مثلها الأعلى والدتها راضية بما هي عليه من اعتمادها عليها.

والفتاة التي ذابت مشاعرها في مشاعر أمها، وأصبحت صورة طبق الأصل من منها، لاتستطيع أن تمنح محبتها لأحد غير أمها، فليس لديها متسع لذلك، ماذا يكون شأنها مع زوجها الذي يطلب منها المحبة والتضحية فلا يجدها!

***

الأم العاملة.. بين العمل والعائلة

بعد اكتسابها الحقّ في العلم والعمل، ارتقت المرأة وأصبح عملها مكمّلاً لعمل الرجل وباتت «تدير المجتمع» بأسره بيدٍ واحدة. ولكنّ دورها المهني والتثقيفي لم يلغِ دورها «الأمومي» ومسؤولياتها تجاه أولادها وأفراد عائلتها، وهي مسؤوليات لا تُعوّض. فكيف يمكنها التوفيق بين كيانها المهني ودورها الأُسري؟

تطوّرت المرأة كثيراً واكتسبت حقوقها المدنية وشغلت المراكز المهنية العليا، نجحت وتقدّمت ونافست الرجل في مضامير مهنية وحياتية مختلفة، وهذا ما زادها ثقة بالنفس وعزّز مكانتها المميّزة في المجتمع. إلّا أنّ طعم النجاح لم يُفقدها روعة الشعور بالأمومة وأداء مسؤوليتها تجاه أولادها وأفراد أسرتها بحبّ وحنان، إذ تغرس في نفوسهم القيم وتربّيهم تربيةً صالحة.

ولكن تواجه الأمّ صعوبة في التوفيق بين كيانها المهني ودورها الأمومي، فيتأثّر الأولاد بغيابها الذي لا يُعوّض. فما هي نتائج غياب الأمّ عن المنزل وآثارها السلبية في تكوين الأطفال الشخصي والاجتماعي والنفسي؟ وكيف تعوّض الأم العاملة التي تقضي معظم وقتها في العمل هذا النقص على أطفالها، ومَن يساعدها في هذا المضمار؟

رعاية اجتماعية ـ نفسية

أصبح عمل المرأة مهمّاً جداً في مجتمعاتنا العربية، ولكن رغم إيجابيات عمل المرأة خارج منزلها ولعبها دور «الميزان» في

المجتمعات الذكورية، واكتسابها الخبرات المهنية المهمّة التي تزيدها نضوجاً لناحية التفكير والتدبير واستغلال الوقت والتنظيم، إلّا أنّه لا يمكننا نكران سلبيات غيابها عن منزلها خصوصاً عندما يكون أطفالها صغاراً.

فالطفل لا يحتاج إلى الرعاية الاجتماعية والطبية وتأمين حاجاته في الأكل والشرب واللبس فقط، بل يحتاج أكثر إلى الرعاية النفسية التي تساعده في تكوين شخصيته واكتساب الخبرات والمهارات الاجتماعية والأخلاقية التي تقوّم سلوكه. كذلك من خلال الرعاية النفسية التي توفّرها الأمّ، يتعلّم الطفل أن يصبح قدوة حسنة في مجتمعه. ولكن ماذا لو غابت الأمّ بسبب عملها؟ كيف يمكنها تعويض غيابها؟

دور الأم في العائلة

تلعب الأم دوراً بارزاً في تربية أطفالها، تماماً كدور الأب المهم في تكوين الطفل النفسي. ومن أبرز الأمور التي تهتمّ بها الأمّ في تربيتها طفلها، نذكر:

- الاهتمام المباشر بحاجات الطفل كالطعام والشراب والنظافة، والاستماع إليه لمعرفة حاجاته واكتشاف قلقه وخوفه.

- غرس الثقة بالنفس في نفس الطفل ليكوّن لاحقاً شخصيتّه «المستقلّة» عن والديه. كذلك، توجّه له الأم الأسئلة البسيطة المؤلّفة من كلمات غير معقدة لتكتشف مدى تفاعله معها ومع والده.

- مشاركة الأب في توجيه الطفل وإرشاده، وهذا ما يساعده في تكوين شخصيته. والجدير بالذكر أنّ الأم هي التي تعلّم قواعد التنشئة

الأولى للطفل وتوفّر له الجوّ العاطفي، في حين يلقّنه الأب النظام.

– مواساة الطفل عندما يكون حزيناً أو قلقاً من شيء ما، فغريزة الأمومة تلعب دوراً مهماً جداً في اكتشاف وضع الطفل ومعالجته.

– اللعب مع الطفل بمشاركة الوالد، فتخصيص وقت خاص للّعب يعلّم الطفل الكثير من الخصائص الاجتماعية منها الانضباط والأدب، والمهارات التثقيفية التي تنمّي تفكيره وتعلّمه أشياء جديدة، وغيرها من الأدوار الأساسية في حياته الاجتماعية والنفسية.

تعويض الغياب

والسؤال الذي يطرح نفسه في هذا السياق: «إذا كانت الوالدة غائبة عن البيت، فكيف تعوّض لأطفالها»؟

– التعويض عن الحنان: عند رجوع الأم إلى منزلها بعد غيابها عن المنزل، عليها أن تلعب مع طفلها وتسلّيه وتتحدث معه.

– دور الأمومة: على الأمّ أن تقوم بواجباتها فتُعدّ الطعام أو تساعد طفلها الصغير في الاستحمام، وتقرأ له قصة ممتعة قبل النوم، ولا تعتمد على المربية لتقوم بتلك الواجبات.

– إذا كان الطفل ما زال رضيعاً، على الأمّ أن تعطيه الحليب الطبيعي منها والابتعاد قدر الإمكان من الحليب الاصطناعي، فحليب الأم مهمّ لنموّ الطفل الجسدي والعقلي.

– على الوالدة عدم نقل المشكلات التي تعانيها في عملها إلى منزلها، وبالتالي على حياتها المهنية ألّا تؤثّر سلباً في حياتها الأسرية واهتمامها بأطفالها. فالأولاد ينتظرون من الأمّ تفاعلاً حيوياً.

- في نهاية كلّ أسبوع، على الأم مشاركة أطفالها بالنشاطات الفنّية أو الرياضية أو الاجتماعية، فهذا الوقت الثمين يقوّي العلاقات بينهم ويعوّض جزءاً من غيابها عنهم في معرض الأسبوع.

- كذلك، يلعب الأب دوراً كبيراً في تعويض غياب زوجته عن المنزل، من خلال اهتمامه بالأطفال وإعطائهم الحنان المطلوب. فالأسرة الصالحة تتكاتف وتعمل جاهدة للتقليل من سلبيات انشغال الأم.

وأخيراً، لا بدّ من الإشارة إلى أنّه تقع على الأم مسؤولية كبيرة في تنشئة أطفالها، ولكن لا يمكننا نكران الدور الذي يلعبه الأب في هذه العملية التربوية الدقيقة. وبالتالي، على الأب أن يلعب دوره أيضاً في التربية والمساهمة في نموّ الطفل اجتماعياً ونفسياً. كذلك، على الأم أن تعي أنّ مسؤولياتها المهنية وواجباتها تجاه عملها، ليست أهم من مسؤولياتها تجاه أطفالها.

❋❋❋

الأمومة بين المثالية والواقع

كانت الأمومة، ومازالت، موضوعا جدليا استنطق العديد من أقلام الكتاب والفلاسفة، وكانت أيضا مادة دسمة للأبحاث والدراسات المستفيضة في مجال علم الاجتماع وعلم النفس خاصة؛ الأمومة هي الحدث الكبير والمهم في حياة المرأة المفعمة بالتجارب والتحديات في مواجهة متطلباتها، والمليئة أيضا بلحظات البهجة والحب والسعادة التي ترافق عادة مراحل نمو الأطفال العمرية وتقدّمهم الدراسي، وحتى في ما بعد عندما يبلغون سن الرشد ويباشرون حياتهم العملية والاجتماعية. إلا أن كل هذه الجوانب، سواء المضيئة منها أو الداكنة في حياة الأم، تجعلها فريسة لضغوط نفسية وعصبية شديدة، قد تصل حدّ الإجهاد والقلق والاكتئاب والشعور بالوحدة أيضا.

الأمومة بوصفها محنة، هذا ما تحاول بعض الأبحاث والدراسات الحديثة التعامل معه ومحاولة وصف أبعاده؛ القلق المبالغ فيه والذي يسيطر على بعض الأمهات، المشاعر غير المستقرة والأفكار المزعجة، الشعور بعدم الجدوى والخوف من المستقبل، وغير ذلك الكثير من الأشياء التي ترافق حياة الأم اليومية وتعرقل لحظات سكينتها.

في مقالها الأخير في مجلة «علم النفس» الأميركية، تتطرق كارين كليمان؛ المؤسسة والمديرة التنفيذية لمركز «الإجهاد النفسي والاكتئاب بعد الولادة» في ولاية فيلاديلفيا الأميركية، إلى هذه الإشكالية في علاقة بعض النساء بالأمومة.

وأشارت كليمان إلى اتجاهين مهمين تجب معالجتهما لفهم

أهم مقومات العلاقة بين الأم والطفل والزاوية التي تنظر منها إلى مفهوم هذه العلاقة؛ وهما المجتمع المتطلب والصورة المثالية التي يرسمها للأمومة، والتحدي الذي يشكله دور المرأة كأم ومدى تحقيقها للتوازن بين الواقع وبين ما هو مرسوم لها، أو ما يتوقعه الآخرون منها.

وكانت الكاتبة جوديث وارنر، قد عبرت عن شعور الأم هذا وكأنه ضرب من الجنون؛ «وكأن شيئا ما يقف في حنجرتها، يجعلها على قناعة تامة بأنها دائما ما ترتكب بعض الأخطاء»، وبسبب هذا الشعور الخانق فإن الأمهات غالبا ما يكن عرضة للقلق، جرّاء الشعور بالذنب والاستياء بطريقة قد تسمم حياتهن وتجعلهن يعشن في جحيم دائم.

الأمومة أو الأبوة عمل شاق حقا ويصبح أكثر مشقة عندما ننتقد أنفسنا على الدوام، كآباء وأمهات، بأننا لا نتقن أدوارنا

وتورد وارنر جملة من العوامل المسؤولة مباشرة عن إنتاج هذا الجيل من الأمهات اللاتي يقعن على الدوام ضحية للضغوط النفسية، وتأتي على رأس هذه المسببات وسائل الإعلام التي تظهر المرأة وتزوقها للآخرين على وفق نموذج مثالي متميز، قادر على تخطي الصعاب وفعل المعجزات ولعب جميع أدوارها على الإطلاق بمستوى هو أقرب للكمال، وهذا بالطبع مخالف للواقع ولقوانين الطبيعة، والأسوأ من ذلك هو أن يأخذ الأشخاص المحيطون بالأم من أصدقاء وأقارب وزوج ما تروج له وسائل الإعلام، على مأخذ الجد، وفي بعض الأحيان تتبنى الأم نفسها هذه الأفكار، فيصبح من الصعب إذ لم يكن مستحيلا الخروج من الدائرة الضيقة من الضغوط

المجتمعية، والتحرر من القلق والضغط النفسي الذي تفرضه مثل هذه البيئة المتطلبة وغير المتسامحة؟

ويشير جيرون كاغان؛ أستاذ علم النفس في جامعة هارفارد الأميركية، إلى أن بعض الأشخاص يولدون وهم يحملون سمة القلق أو أنهم يكتسبونها بالتتابع خلال سنوات عمرهم، مؤكدا من خلال أبحاثه لسنوات عن الكيفية التي يتطور بها مزاج الطفل الفطري مع الوقت، حيث أظهرت نتائج أبحاثه بأن الأطفال الذين يعانون من ردود أفعال تتسم بالشدة لكل ما يقابلهم من مواقف، يكبرون وهم يحملون سمة القلق هذه فيصبح لديهم استعداد فطري للتعامل مع أي مؤثر بالطريقة ذاتها.

وأوضح كاغان بأن بعض الأشخاص، وبصرف النظر عن تمتعهم باكتفاء مادي أو مدى صحة أطفالهم، فإن لديهم استعدادا فطريا على الدوام يصور لهم المشهد بصورة قاتمة، إنهم ببساطة يولدون أشخاصا قلقين. وعندما تنتمي المرأة/ الأم لهذا النوع من التصنيف، فهي تبدو شخصية قلقة على الدوام في ما يتعلق بدورها في تربية أبنائها، وعلى الرغم من جهدها ومثابرتها فإنها تقع فريسة للشعور بالذنب والتقصير دائما وبأنها لا تقدم لهم ما يكفي من الرعاية.

الشعور الخانق بالذنب والاستياء يعززان حالة القلق والأرق التي تسمم حياة الأم وتجعلها تعيش في جحيم دائم

من جانب آخر، قد تظهر مجموعة من علماء النفس المعارضين لفكرة أن بعض الناس يولدون وهم يحملون سمة القلق في تكوينهم الشخصي، مستندين على وجهة النظر التي تقول إن الإنسان يولد

صفحة بيضاء ثم تأتي التأثيرات البيئية، فتكوّن سماته وتصقلها. ولعل هذا النوع في الخلاف في الرأي بين العلماء ليس بجديد على الإطلاق؛ فمازالت الأبحاث والدراسات الحديثة التي تهتم بسلوك الإنسان تراوح بين تأثير الوراثة والبيئة، بعضها يرجح تأثير البيئة بنسبة كبيرة والبعض الآخر مازال يراهن على نظرية الوراثة، وكلا الجانبين يظهر أفكاره وإحصاءاته وكأنها أمر مسلم به.

من جانبه، يرى أستاذ علم النفس في قسم الطب النفسي في جامعة بنسلفانيا الأميركية، سيث جيليهان، أنه ليس من السهل على أي إنسان مهما علا شأنه، أن يعتني بصغير ويربيه؛ فالأمومة أو الأبوة عمل شاق حقا ويصبح أكثر مشقة عندما ننتقد أنفسنا على الدوام، كآباء وأمهات، بأننا لا نتقن أدوارنا على أكمل وجه، على الرغم من أن معظم هذه الانتقادات غير عادلة وغير صحيحة.

ويؤكد جيليهان على أن الشعور بالذنب والتقصير وبأننا لا نقوم بواجباتنا مثل بقية الآباء والأمهات، من أكثر الأمور المسببة للإحباط، حيث تسهم في تعزيز هذه النظرة القاصرة إلى النفس وسائل الإعلام ووسائل التواصل الاجتماعي، التي تظهر الوالدين دائما على أعلى نموذج من الكمال إضافة إلى إسهامنا كأفراد في هذا الجانب، حيث نبالغ في تقديرنا لمنجزات وتضحيات آباء وأمهات نراهم على شاشات التلفزيون في مواقع التواصل الاجتماعي، ونتمنى أن نكون في مستواهم.

وفي الحقيقة، فإن أغلب ما نراه ليس في مستوى الكمال الذي يصوره لنا الآخرون، فالواقع يقول إن هؤلاء آباء وأمهات مثلنا وربما نتفوق عليهم في بعض الخصائص و(التضحيات)، هذه التضحيات

التي قد تشغلنا عن تقديم الرعاية المناسبة لأبنائنا؛ فكل ما يحتاجونه هو بعض الابتسامات والكثير من الحب الذي يشعرهم بالأمان، فهو من سيتكفل بجعلهم أفضل الأبناء.

❊ ❊ ❊

الأم بين الواقع والأدب

تنوعت صورة الأم في الأدب العربي القديم والحديث لكنها تظل تحمل صفة القداسة والنقاء، أما صورها السلبية التي يرفضها المجتمع فإن طرح تلك الأنماط يمثل تأكيدًا على مخالفتها للصورة الوجدانية والثابتة في أذهان الشعوب، ويحتفل العالم العربي في ٢١ مارس من كل عام بعيد الأم الذي يحمل تبجيل الأبناء وتقديرهم لمكانتها.

إن تناول شخصية الأم في الأدب عامة يفتح باب الدلالات على معاني أكثر خصوبة وأكثر تميزًا، فهي معادل حقيقي وصحيح للأرض تلك التي نأكل من نبتها ونعيش عليها ونرتبط دوما بذلك المكان فنعود إليه عند الاغتراب والهجر، كما تحيلنا لمعاني الوطن ذلك الحضن الأكبر الذي يأوينا ويحمينا ولا نشعر بالثقة والأمان إلا في وجوده وبقائه، فرواية «الأم» لمكسيم جوركي كانت الدلالة منفتحة فيها مباشرة على روسيا الوطن الكبير بكل أزماته وتطلعاته، وشكلت الرواية تأثيرًا كبيرًا على أجيال كثيرة من حيث معاني الثورة وبناء الأوطان.

ونستعرض أبرز الأعمال الأدبية التي برعت في تناولت صورة الأم في قداستها وعظمتها، وحققت شهرة كبيرة بل وأثرت في ثقافة الشعوب العربية تجاه تلك الصورة المحببة للأم العربية عامة.

روايات محفوظ

ضم أدب الروائي العالمي نجيب محفوظ صورًا شفافة لحالة

المجتمع المصري ولا سيما صورة الحارة المصرية الشعبية التي اشتهر بالكتابة عنها، ولقد تناول نجيب محفوظ معظم الشخصيات التي تحمل أنساقا فكرية مختلفة ليبرز حالة التنوع الفكري والثقافي التي كانت بالمجتمع، وكانت شخصية الأم من تلك الحالات التي تعرض لها الكاتب أكثر من مرة ليصور أحلامها وآملاها ومكابداتها في تكوين الأسرة والحفاظ عليها.

وفي وصف نجيب محفوظ للأم بالشجاعة والصبر وتحمل مسئولية البيت وحدها كان في المقابل يتعرض لصورة الأب الأناني والذي تفلت من الزماته الاخلاقية، إن الأباء عند محفوظ تسببوا في مآيسي كبيرة لأسرهم بتصرفات طائشة وغير منطقية متمسكين بالنزق أو العادات الاجتماعية البالية، فالقارئ يجد أب يزوج ابنته من رجل تافه ومتعدد العلاقات ليفرض على ابنته حالة تعيسة كما في رواية «السراب»، كان هنا واضحًا أن تبرز صورة الأم في مقابل الصور السيئة التي حفلت بها أعمال محفوظ.

فجاءت نظرة محفوظ إلى النساء عامة وبشكل خاص إلى الأمهات منهن أكثر تعاطفًا من نظرته إلى الرجال، فكثيرًا ما يصف النساء كنماذج للصبر وللاخلاص اللامتناهي للعائلة، ورسم نجيب محفوظ شخية الأم في رواية «بداية ونهاية» تلك المرآة المتحملة الصابرة التي تقوم بدلا عن موت الأب لتجد حملا مثقلا من متاعب الأبناء.

وشخصية «أمينة» أوضح الصور التي اشتهرت من شخصيات نجيب إلى جوار استبداد زوجها السيد أحمد عبدالجواد، فهي صورة

للزوجة المطيعة المستسلمة، لكنها كانت مثلا للأم المحبة والمتطلعة لمستقبل مستقر لأبنائها، كان رمزا للنقاء والفطرة السليمة.

وكانت رمزا للبطولة وبث روح الشجاعة والحماس والتضحية في نفوس أبنائها في رواية «كفاح طيبة» التي ربت الملك أحمس وحرضته للثأر لأبيه والتخلص من الهكسوس الذين احتلوا مصر واستباحوا أرضها.

فاطمة تعلبة

الأم المثالية كان لقبًا تستحقه الحاجة فاطمة تعلبة، تلك السيدة الأمية التي تشبه الأساطير، سيدة في عمق الريف لا تعرف شيئا عن عالم النجوم تقف صامدة كالرجل وسط بيئة خشنة وصعبة.

كانت رواية «الوتد» للكاتب الكبير خيري شلبي والتي لاقت شهرة كبيرة ولاسيما بعدما تحولت لعمل درامي، فقد صورت الأم في المجتمع الريفي أحسن تصوير، تلك الجبل الصامد، عمود الخيمة، ووتد الأسرة، التي تظلل على أبنائها وتنجح في بناء أسرة تقوم على الوحدة والتكافل والاندماج، الحاجة فاطمة تعلبة التي تحمل السلاح بشجاعة الرجال للدفاع عن أحد الأبناء، في الرواية يقول شلبي عن شخصية الحاجة فاطمة: «كثيرًا ما تمنى أبناء الدار موت «الحاجة تعلبة» مع ذلك ما تكاد تلم بها وعكة صغيرة حتى تنقلب الدار كلها كأنما القيامة على وشك أن تقوم، يجئ حلاق الصحة وينصرف عدد من المرات، ويحضر القريب والبعيد من الأقارب والأصهار والمعارف، حتى لتصير الحارة كلها وهي كلها بيوتنا زريبة كبيرة تضيق بركائبهم التى يبدو عليها الحزن هى الأخرى، إذ تقف مدلية الآذان عازفة عن

الطعام والنهيق، وتتحول الدار إلى مولد صغير».. تلك كانت مكانتها الحقيقية فهي موضع السؤال ومثار الجواب.

وتظهر خصوصية الحاجة فاطمة في معالجتها الحكيمة لأزمات العائلة، لاسيما الدقيق منها، وكانت شجاعة في مواجهة تمرد أحد الأبناء عندما قالت: «اسمع يا ولد من لا يعجبه العيش مع الحاجة فاطمة تعلبة فليرحل هو، فليخرج من الباب، بطوله، وحده حتى من دون ثيابه، حتى من دون أولاده، فأنا الذي ربيت، وأنا الذي زوجت وأنا الذي أكسو وأطعم، والأولاد أولاد الدار قبل أن يكونوا أولاد أحد منكم، ولا أفرط في ظفر واحد منهم ولا حتى في ظفرك أنت أيها الشايب العايب، ولكن من أراد أن يفرط في الدار فخير للدار أن تفرط فيه».

خبز امي

احتلت صورة الأم في شعر محمود درويش مكانة كبيرة ولا سيما بعد قصيدته التى لاقت رواجا كبيرا بين محبي الأدب والفنون، ولقد كانت لدى درويش مشاعر سلبية تجاه والدته عقب إحساس رواده أنها لا تحبه مثل باقي إخوته، لكنه فوجيء عندما اعتقلته السلطات الاسرائلية بزيارة أمه التي جاءت تحمل الخبز والقهوة لكن الاحتلال منعها فقاومت ذلك ورفضت ثائرة في وجه الجنود حتى سمحوا لها بزيارته فأخذته حضنا أعاده لمرحلة الطفولة، وأجج بداخله مشاعر الحب تجاه أمه فقال قصيدته المشهورة «أحن إلى قهوة أمي».

لقد اتسمت صورة الأم في معظم القصائد العربية، بالقداسة والنقاء عكس الرواية التي فرعت الأحداث وتباينت فيها الشخصيات بين الأدوار الإيجابية والسلبية، ولقد جمعت درويش علاقة أعمق من

التفسير فظلت بطلة للكثير من قصائده، ليرتبط دوما بلمسة حنانها، بحضنها الدافئ، بحاجته إلى الطمأنينة بقربها، بحب عفوي لا مصلحة فيه، بشوق متبادل، بعاطفة لا تعلوها عاطفة.

يقول درويش في قصيدته:

أحنّ إلى خبز أمي
وقهوة أمي
ولمسة أمي
وتكبر في الطفولة
يوما على صدر يوم
وأعشق عمري لأني
إذا متّ،
أخجل من دمع أمي!
خذيني،إذا عدت يوما
وشاحا لهدبك
وغطّي عظامي بعشب
تعمّد من طهر كعبك
وشدّي وثاقي..
بخصلة شعر
بخيط يلوّح في ذيل ثوبك

فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة

الأم هي المعجزة ٧
معنى الأمومة ١١
الأم في القرآن الكريم ١٩
الأم في السنة النبوية ٢٣
الأم عند السلف ٢٥
أمهات المؤمنين ٢٩
الأم في الكتاب المقدَّس ٣٧
الأم مربية ٤٥
كيف تربي الأم أبناءها؟ ٤٧
دور الأم في مرحلة الطفولة المبكرة ٤٩
دور الأم مع البنات ٥١
مقترحات تربوية للأم ٥٣
الأم المثالية في الإسلام ٦٧
صفات الأم الصديقة ٧٣
علاقة الأم ببناتها المراهقة ٧٥
الأم العاملة.. بين العمل والعائلة ٨١
الأمومة بين المثالية والواقع ٨٥
الأم بين الواقع والأدب ٩١